جنى الحقول من شرح ثلاثة الأصول

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

تأليف

منصور بن صالح الجاسر

دار أطلس الخضراء

المملكة العربية السعودية

جنى الحقول
من شرح ثلاثة الأصول

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

الطبعة الثانية
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار أصداء المجتمع
المملكة العربية السعودية
القصيم - بريدة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٦٣٢٣٦٣٣٣
فاكس: ٠٠٩٦٦١٦٣٢٣٦٢٧٧
جوال: ٠٠٩٦٦٥٠٥١٣٦٣٣٣
بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٢٠

جنى الحقول

من شرح ثلاثة الأصول

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

تأليف

منصور بن صالح الجاسر

دار أصداء المجتمع
المملكة العربية السعودية
القصيم - بريدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...

أما بعد:

فهذا شرح مبسط على متن ثلاثة الأصول، كنت قد ألقيته على بعض الطلبة، فقاموا بتفريغه من الأشرطة وأشاروا عليَّ بطبعه ونشره حتى تعم الفائدة، فالله أسأل أن يبارك فيه، وأن يطرح له القبول، وقد سميت هذا الشرح بـ: «**جنى الحقول من شرح ثلاثة الأصول**».

وقبل أن نشرع في الشرح، نأخذ نبذة عن هذه الرسالة: فالأصول الثلاثة أو ثلاثة الأصول هي المؤَلف الذي ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان العقيدة الإسلامية.

وتمتاز الأصول الثلاثة بما يلي:

١- سهولة العبارة.

---

(١) هو الشيخ: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ولد في بلدة العيينة سنة ١١١٥هجرية الموافق ١٧٠٣ميلادية. نشأ في بيت علم، فأبوه كان عالما، وكذا جده. وكان ذكيا، حاد الفهم، سريع الحفظ، وكان فصيحا، سريع الكتابة، وقد استظهر القرآن قبل العاشرة. وقد بذل الشيخ في دعوته ونصرة دينه الشيء الكثير حتى أنه تعرض أكثر من مرة للهلاك بسبب انطلاقه في الدعوة وطلبه للعلم، ولقد طرد وأوذي ولكنه صبر. وكانت وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٢٠٦هجرية.

٢- اقترانها بالدليل وكثرة الأدلة فيها.

٣- عدم ذكر الخلاف وإنما ذكر المنهج الصحيح فقط.

٤- تنوع الأصول الثلاثة.

٥- حسن الترتيب فإن الشيخ رتبها ترتيبا حسنا.

٦- البداءة بالأهم فالأهم فبدأ بالأصل الأول، ثم الثاني،...الخ.

٧- فيها بعض اللفتات العلمية الجميلة.

فَائِدَةٌ: الأصول الثلاثة ألفها الشيخ بعد كتاب التوحيد، لكن الأفضل البدء بها قبل كتاب التوحيد على أن تكون كمقدمة له.

فَائِدَةٌ: ترتيب كتب الشيخ: «ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ» بالنسبة للدراسة هي:

١- القواعد الأربع.

٢- الأصول الثلاثة.

٣- كتاب التوحيد.

٤- مسائل الجاهلية.

٥- كشف الشبهات.

جنى الحقول
من شرح ثلاثة الأصول

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ...﴾.

الشَّرْحُ:

ابتدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبسملة، اقتداءً بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن كل سورة في القرآن ابتدأت بالبسملة، إلا سورة التوبة فإنها لم تبدأ بها، واقتداءً بالرسول حينما كاتب الملوك[1].

۞ **سؤال: كم عدد البسملة في القرآن؟**

الجواب: «١١٤»؛ لأن في النمل بسملتين.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾: أي ابتدأ بسم الله، أو بسم الله ابتدأ.

﴿ٱللَّهِ﴾: هو المألوه محبة وتعظيما.

فَائِدَةٌ: وهذا الاسم له خصائص نذكر منها:

١- أنه أشهر أسماء الله تعالى.

٢- أنه مختص بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

٣- قيل: إنه اسم الله الأعظم.

---

(١) كما في حديث أبي سفيان - وهو حديث طويل - في تحدثه مع هرقل عن النبي ﷺ ودعوته وفيه قول هرقل: لو كنت عنده لغسلت عن قدميه. وفيه أن النبي ﷺ كتب إليه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فاني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم». [الحديث رواه البخاري في أول كتابه، ومسلم (٥/ ١٦٤- ١٦٦)].

٤- أنه أشهر الأسماء الحسنى.

٥- قلما ذكر يخلو من لفظ الجلالة.

٦- أنه لم يُسَم به غير الله.

٧- أنه اختص هذا الاسم بالدخول في الشهادة التي ينجو بها الإنسان من الكفر.

٨- أنه تضاف الأسماء كلها إلى هذا الاسم؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤].

وقال تعالى أيضا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٩- أن جميع الأسماء إذا دخل عليها النداء، سقطت الألف واللام إلا لفظ الجلالة، فلا يقال: «يا الرحمٰن»، وإنما يقال: «يا الله».

١٠- أنه أكثر الأسماء ورودا في القرآن، ولذلك ورد (٢٣٦٠) مرة.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: يعني: المتصف بالرحمة الواسعة، ولا يطلق إلا على الله. وقد أنكر الكفار هذا الاسم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠]، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن «٥٧» مرة.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: يعني: ذو الرحمة الواصلة، وقد ورد ذكر هذا اللفظ في القرآن على الضعف من عدد ورود كلمة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، فذُكر «١١٤» مرة.

۞ سؤال: ما الفرق بين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾؟

الجواب:

١- الرحمٰن: واسع الرحمة، أما الرحيم فهو دائم الرحمة.

٢- الرحمٰن: لا يطلق إلا على الله، بخلاف الرحيم فإنه يُطلق في حق المخلوق أيضا، قال تعالى في وصف النبي ﷺ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

٣- أن الرحمٰن رحمته عامة للمؤمنين وغيرهم، والرحيم رحمته بالمؤمنين خاصة.

۞—۞—۞

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**اعلم – رحمك الله – أنه...**».

الشَّرْحُ:

أولًا: العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكا جازما.

كلمة «اعلم»: هي فعل أمر، المراد به الإرشاد. وسيأتي الكلام عن فضل العلم ومكانته.

أنواع العلم:

١- **منه ما هو واجب**: وهو كل علم وجب عليك تعلمه، مثل: علم التوحيد. فليس فضلًا من الإنسان ولا تكرمًا أن يتعلم أو يحضر دروس التوحيد. بل يجب عليه ذلك لاسيما في هذا الزمان الذي تتلاطم فيه الفتن. حتى إن السحرة يخرجون في قنوات فضائية لنشر سحرهم، ومما يؤسف له أن أكثر الذين يتصلون عليهم «أي

على السحرة» هم من بلاد التوحيد. فأين التوحيد الذي درسوه في المراحل الدراسية؟!

وهناك كلمة كثيرًا ما تتردد، ونسأل الله أن تُمحى وهي قول قائلهم: «لسنا بحاجة لتعلم التوحيد»، ويا سبحان الله! هذه الفتن التي ظهرت، بينت ضعف الناس في دراسة علم التوحيد، حتى يأتي الناس إلى الدجالين، فيضحكوا عليهم ويستولوا على أموالهم.

من هذا وذاك، أتمنى أن تستحضروا نية أنكم تؤدون واجبًا وأنتم تحضرون دروس التوحيد.

إذًا فعلم التوحيد هام جدًا بل هو واجب، ويا لله كم ضيع الناس من معرفة هذا العلم! فلو أنك سألت أحدهم عن قول الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

فقلت له: ما معنى الاستواء؟ لقال لك: لا أدري!

كذلك لو سألته عن معنى: «**اليد**»[1]؟ لقال لك: لا أدري! فانظر كم ضيع الناس من دينهم بجهلهم بالتوحيد لله تعالى؟

وأيضا من العلم الواجب: «علم الصلاة»: أي تعلم أحكامها.

٢- **ومن العلم ما هو فرض كفائي**: إذا قام به البعض سقط عن الباقين، مثل علم الفرائض، وتعلم العلوم الدنيوية التي يستغني بها المسلمون عن الكفار، مثل الكيمياء، الفيزياء، والطب، مما لا يجعل للكفار على المؤمنين سبيلا. ولكن للأسف قصرنا في هذا النوع.

٣- **ومن العلم ما هو مكروه**: مثل الاشتغال بتعلم بعض العلوم التي ليس

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ [الفتح: ١٠].

فيها فائدة، ولكنها أيضا ليس فيها ضرر، مثل تعلم كيفية صعود الجبال.

٤- **ومن العلم ما هو مستحب**: وهو ما يُتوصل به إلى الأمور المستحبة. مثل تعلم أحكام صلاة الضحى، وكذلك رجل ليس عنده «**بيع ولا شراء**» ولكنه يتعلم أحكام البيع والشراء.

٥- **ومن العلم ما هو مباح**: كالعلم الذي لا يشغل الإنسان، والإنسان ليس في حاجة إليه.

٦- **ومن العلم ما هو محرم**: مثل تعلم السحر. فتعلم وتعليم السحر لا يجوز. وأما حديث: «**تعلموا السحر ولا تعملوا به**»(١)؛ فحديث موضوع لا يصح.

«**اعلم رحمك الله**»، لنا فيها عدة وقفات:

١- بدأ الشيخ بقوله: «**رحمك الله**» أي بالدعاء. وهذه تسمى: «**جملة دعائية**» المراد بها الاستعطاف، وشد انتباه المستمع، وتحبيبه لما يلقى.

فمثلا: لو قلت لك: «احمل هذا الميكروفون «**مكبر الصوت**»، أيهما أفضل وأحسن إليك، هذا أم لو قلت لك:«**يا أخي، جزاك الله خيرًا**، احمل هذا الميكروفون»؟

الإجابة: الأخيرة ستكون أفضل بلا شك. فالشيخ هنا عرف كيف يشد المستمع ويحببه ويستعطفه.

٢- «**الكاف**»: الكاف هنا للخطاب، والمراد بها القرب من المخاطب. فأنت حين تقرأ الأصول الثلاثة كأن الشيخ يخاطبك أنت.

---

(١) لم أقف عليه.

٣- «**رحمك الله**»: أي غفر الله لك ما مضى من ذنوبك وعصمك في المستقبل.

۞ **سؤال: ما الفرق بين «الرحمة» و«المغفرة»، وهل إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اتحدا؟**

الجواب: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. بمعنى: أنهما إذا اجتمعا كانت المغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة لما هو آت، وإذا افترقا احتمل كل واحد منهما المعنيين.

قوله: «**اعلم رحمك الله**»: عبارة فيها تلطف وهكذا الداعي ينبغي أن يكون لطيفا مع الناس.

- ومن الحكمة في الدعوة إلى الله: أنك إذا خاطبت الناس، أن تشرك نفسك معهم. فمثلا لا تقل: «**أيها الناس اتقوا الله**» أو «**أوصيكم بتقوى الله**»، ولكن قل: «**أوصيكم ونفسي بتقوى الله**»، وكذلك الذي يقول: «**الناس كلهم أصحاب معاصي**»، عليه أن يقول: «**كلنا أصحاب معاصي**».

- التلطف مع المخاطب ينقسم إلى قسمين:

١- تلطف بالعبارة: أي بأن تكون هيِّنة لينة.

٢- تلطف بالفعل: وله صور كثيرة؛ منها: عدم الإطالة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**اعلم - رحمك الله - أنه يحب...**».

الشَّرْحُ:

كلمة «**أنه**» تفيد التوكيد والتنبيه.

- **والواجب**: هو ما أمر به الشارع أمرا جازما، أو أمر به على سبيل التوكيد.
- **حكم الواجب**: يثاب فاعله ويعاقب تاركه.
- **أقسام الواجب**:

١- واجب عيني: وهو ما طلب الشارع فعله من كل مكلف، كالصلاة. فالشارع يريد من كل واحد أن يقيم الصلاة.

٢- واجب كفائي: وهو ما نظر الشارع فيه إلى إقامة الفعل، بغض النظر عمن فعله، مثل صلاة الجنازة. فالشارع لا يريد من كل الناس أداء صلاة الجنازة، بل يريد منهم أن لا يهملوا الصلاة على أخيهم، وإن أدَّاها بعضهم فهي صحيحة.

- **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «علينا...».

الشَّرح:

هذا اللفظ يشمل المتكلم والمخاطب. فهو إشعار للمخاطب أنه معك في الوصية. ولو قال: «**يجب عليك**»، لكان فيها إشعار للمخاطب بأن المتكلم أفضل منه. ولهذا ينبغي عليك إذا خاطبت الناس أن تعلم أنك أحوج للخطاب من أي أحد، وأنك إذا ألقيت كلمة لتنفع الناس بها فقط،فهذه علامة خطيرة جدًا. أما إذا تكلمت لتنفع نفسك أولًا ثم تنفع الناس فهذا هو الأصل.

- **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعلم أربع مسائل...».

الشَّرح:

قوله: «**أربع**»: المقصود بها التقسيم من أجل سهولة الحفظ والتنظيم.

قوله: «**مسائل**»: جمع مسألة، وهي تشمل الدين كله. وهذه المسائل هي:

- **الأولى**: **العلم**: والعلم فضله عظيم، وهذا ثابت بالكتاب والسنة:

أولا: الكتاب:

١- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٩]، فالله عز وجل سمى نفسه باسم (العليم)، وما كان الله ليسمي نفسه إلا بأفضل الأسماء.

٢- قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

يقول ابن القيم في كلام معناه: «إن هذه الآية تدل على فضل العلم لأن الله ثلث بالعلماء في أفضل مشهود». والمشهود هو الشهود لله بالوحدانية سبحانه وتعالى.

٣- قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

٤- قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨]. فالعلماء هم أهل الخشية لله حقا.

ثانيًا: السنة:

١- قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «من يرد الله به

خيرًا يفقهه في الدين»(١).

٢- وقال أيضًا: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(٢).

٣- وقال أيضًا: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة**».(٣).

---

(١) والحديث بتمامه: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».
قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ١٩٣): أخرجه البخاري (١/ ٢٥ و٢٦ و٤/ ٤٩ و٨/ ١٤٩) والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٢٧٨) عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب أخبر حميد قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان خطيبا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: فذكره. وكذلك أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١/ ٢٠) ورواه أحمد (٤/ ١٠١) عن عبد الوهاب بن أبي بكر عن ابن شهاب به دون قوله: «و إنما أنا قاسم والله يعطي» وزاد في آخره: «و هم ظاهرون على الناس» وهي عند الطحاوي، وكذا البخاري في رواية. وهي عند مسلم من طريق أخرى عن معاوية بلفظ: «لا تزال». وتقدم برقم (٢٧٠). وروى الدارمي (١/ ٧٥، ٧٦) عن عبد الوهاب الجملة الأولى منه. ولها طرقا عن معاوية ذكرت قريبا وورد بزيادات أخرى. فانظر: «الخير عادة» وتقدم برقم (٦٥١). وما يأتي بعد حديث. وورد بلفظ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم يوم القيامة**». أخرجه أحمد (٤/ ٩٣) حدثنا كثير بن هشام قال: حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان ذكر حديثا رواه عن النبي ﷺ - لم أسمعه روى عن النبي ﷺ حديثا غيره - أن النبي ﷺ قال: فذكره. وهذا سند صحيح على شرط مسلم وجعفر هو ابن برقان. وقد أخرجه ابن عبد البر أيضا (١/ ٢٠) وكذا مسلم (٦/ ٥٣ و٥٤).

(٢) [صحيح] أخرجه ابن ماجه واللفظ له، وروي عن جماعة من الصحابة؛ منهم أنس ابن مالك وعبد الله بن عمرو وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم. وراجع مشكلة الفقر للألباني رَحِمَهُ اللهُ فإن فيه دراسة مطولة للحديث.

(٣) [صحيح] والحديث بتمامه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**». =

و معنى «**سهل الله به طريقا إلى الجنة**»: إما أنه يسهل له دخول الجنة، أو يسهل له عملا لدخول الجنة كأنه الباب.

والمجاهد في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله من ساعة أن يخرج من بيته إلى ساعة أن يرجع.

ومن فضل العلم؛ أن الملائكة تتتبع حلق الذكر حتى إذا وجدوا حلقة قالوا: «**هلموا إلى بغيتكم**».

قال رسول الله ﷺ «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض - فضلا عن كتاب الناس - يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجاتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم - وهو أعلم منهم -: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا، فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول الله: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة، فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة! فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»(1).

= رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

(1) تخريج السيوطي، (حم ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه، تحقيق الألباني رحمه الله.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[1].

وعن كثير بن قيس قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء! إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ ما جئت لحاجة، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات، ومن في الأرض؛ والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[2].

۞ **سؤال**: *ما الحكمة ولماذا تستغفر لهم الحيتان وغيرها؟*

الجواب: نقول: لأن الناس يتعلمون من العالِم الرفق، فيرفقون بالحيوانات فتثني عليه الحيوانات خيرًا.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: في قول الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة: ٤]: فيه دليل على فضل العلم؛ لأنه إذا كان الكلب المعلّم يجوز أكل صيده، وغير المعلّم لا يجوز، فكيف بالعالم في العلم.

---

(١) رواه مسلم وأحمد والبيهقي والنسائي وابن حبان.

(٢) [حسن] رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، وسماه الترمذي: قيس بن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

و **أفضل العلم هو معرفة الله**؛ لأن شرف العلم إنما يكون بشرف المعلوم.

وليس معرفة الله هي مجرد المعرفة العلمية فقط، بل المعرفة بالقلب أيضا مما يستلزم قبول ما شرعه الله، والإذعان لحكمه، والخشية منه جل وعلا. وسيأتي مزيد إيضاح، إن شاء الله تعالى.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**و معرفة نبيه...**».

الشَّرْحُ:

أن تعرف شمائله، وأخلاقه، وأن تقبل ما جاء به. وسيأتي مزيد إيضاح في هذا أيضًا - إن شاء الله تعالى -.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**و معرفة دين الإسلام بالأدلة...**».

الشَّرْحُ:

وسيأتي مزيد إيضاح - إن شاء الله تعالى -. وإذا أطلق الإسلام عُني به إفراد الله بالشهادة.

هذه هي الأصول الثلاثة وإذا أردت تلخيصها، فتقول: (مُرسِل - مُرسَل - رسالة).

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الثانية: العمل به...**».

الشَّرْحُ:

أي: الثانية من القواعد الأربع.

يعني لا يصلح العلم بلا عمل، ولا يستقيم عمل بلا علم.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

قال البغوي: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبت عليه.

وقال الحسين بن الفضل: فازدد علمًا على علمك. وقال أبو العالية هو متصل بما قبله بمعناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها إلا إلى الله. وقيل: فاعلم أنه لا إله إلا الله وأن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك إلا لله، إذًا لا بد من العلم مع العمل به.

و قد ضرب الله مثالين لمن علم ولم يعمل:

الأول: فردي، قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

الثاني: جماعي، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة: ٥]. فالحمار لا يدري ما فوقه، أهو صحيح البخاري أم جراب من طحين! وكذلك بعض الناس أحيانا يكون كمثل الحمار يحمل العلم ولا ينتفع به.

والعلم ثمرته العمل، ولذلك يقرن الله بينهما، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧]. والعلم يهتف بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل [(١)]، قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العلم بلا عمل جنون، والعمل بلا علم لا يكون».

قال الشاعر:

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

فانتبه! لأن العلم من الممكن أن يكون وبالًا عليك.

والذي يعلم ولا يعمل مغضوب عليه، والذي يعمل بلا علم فهو ضال، قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]. فالنصارى ضلوا لأنهم يعملون بلا علم، واليهود مغضوب عليهم لأنهم علموا ولم يعملوا بعلمهم.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الثالثة: الدعوة إليه...».

الشَّرْحُ:

أي: الثالثة من المسائل الأربع.

وهي واجبة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥]، والواجب تبليغ دين الله عَزَّ وَجَلَّ. وكلما ازداد العبد من «اقرأ» ينبغي عليه أن يتوسع في «ادع»، لكن لا يجوز للإنسان أن يدعو إلى الله بلا علم.

---

(١) هذا من قول سفيان الثوري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين».

و قد وضع لنا النبي ﷺ، مقدار الدعوة إلى الله؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)].

وهذا التبليغ فيما يحسنه المبلِّغ، وأما غير ذلك فلا.

ولكن لو أن إنسانا دعا إلى الله بقدر ما عنده من علم ولا يستعجل، وهذا لا يعني أن يجلس ولا يدعو مطلقا، بل يستخدم ما منَّ الله عليه به من علم، سيفتح الله على يديه خيرًا كثيرًا.

ويا حبذا (الدعوة الفردية) في أول استقامته حتى يتمكن من العلم، ثم يدعو على نطاق أوسع.

ثم إن الدعوة إلى الله ليست محصورة في مجال بعينه، بل الدعوة لها مجالات كثيرة. فليس بلازم أن تلقي خطبة أو درسا، بل من الممكن أن تجتهد؛ لأن وسائل الدعوة ليست توقيفية بل هي اجتهادية ما لم تخالف نصًّا.

• **قال المصنف** رحمه الله: «**الرابعة: الصبر على الأذى فيه...**».

الشرح:

أي: الرابعة من المسائل الأربع.

من المعلوم أنك إذا علمت فعملت ثم دعوت، فلا بد من وصول

---

(١) قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ نحوه، وهذا حديث صحيح.

تحقيق الألباني رحمه الله: صحيح، الروض النضير (٥٨٢)، تخريج العلم لأبي خيثمة (١١٩/ ٤٥). [صحيح]. رواه البخاري أيضا بهذا اللفظ.

الأذى إليك. ولهذا قال الشيخ: «**والصبر على الأذى فيه**». فعليك أن تصبر وتحبس نفسك على طاعة الله.

ونحن نعلم كيف صبر النبي ﷺ، وخاصة في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، حتى وصل الأمر لدرجة أن كان الواحد من المشركين يضع قدمه على رقبة النبي ﷺ وهو يصلي.

وما أوذي أحد بمثل ما أوذي به رسول الله، ومع هذا كان ﷺ يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

وأحيانا يأتي الأذى من أقرب الناس إليك كأبيك وأمك، فلربما استهزؤوا بك أشد الاستهزاء. وحينئذ عليك ألا تقابل استهزاءهم بالقبيح منك، بل عليك ألا ترد عليهم، وأن تصبر على أذاهم، وفوق ذلك أن تدعو لهم، كما فعل رسول الله. فإنك إن فعلت فستجد خيرًا كثيرًا إن شاء الله رب العالمين.

الصبر: هو حبس النفس على طاعة الله وعلى الأذى البدني والمالي والنفسي.

و أكمل الصبر عند الصدمة الأولى.

أنواع الصبر: ثلاثة، وهي:

١- صبر على طاعة الله.

٢- صبر عن معصية الله.

٣- صبر على البلاء.

۞ *سؤال: ما هو أفضل هذه الأنواع؟*

الجواب: الصحيح أن كلًا بحسبه. فلو كانت المعصية أشد كان الصبر عنها أفضل، ولو كانت الطاعة أشد كان الصبر عليها أفضل، فإن استويا فالصبر على طاعة الله أفضل؛ لقول النبي ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى**

لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته»(١).

❁ سؤال: من هو النبي الذي جمع أنواع الصبر؟

الجواب: إنه نبي الله يوسف؛، والذي تعرض للابتلاء في جميع أنواع الصبر. وكذلك نبينا محمد ﷺ ابتلى بأنواع الابتلاءات، ابتُلِيَ في عرضه وفي حياته. وقد ورد الصبر في «تسعين» موضعًا من كتاب الله، إلا مع الصلاة في موضعين.

قال عمر رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا في الصبر».

و قال علي رضي الله عنه: «إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد،

---

(١) [صحيح] قال الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» ٤ / ١٨٤:
أخرجه البخاري (٤/ ٢٣١) وأبو نعيم في «الحلية»(١/ ٤) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٤٢/ ٢) وأبو القاسم المهرواني في «الفوائد المنتخبة الصحاح» (٢/ ٣/ ١) وابن الحمامي الصوفي في «منتخب من مسموعاته» (١/١٧١) وصححه ثلاثتهم، ورزق الله الحنبلي في «أحاديث من مسموعاته» (١/ ٢ -٢/ ١) ويوسف بن الحسن النابلسي في «الأحاديث الستة العراقية» (ق٢٦/ ١) والبيهقي في «الزهد» (ق٨٣/ ٢) وفي «الأسماء والصفات» ص(٤٩١) من طريق خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره.
قال الألباني رحمه الله: وهذا إسناد ضعيف وهو من الأسانيد القليلة التي انتقدها العلماء على البخاري رحمه الله تعالى... إلخ. انظر تتمة الشرح والتخريج في الكتاب فقد بلغت تسع صفحات، وخلاصتها: أن حديث عائشة وحديث أنس رضي الله عنهما بطريقيه إذا ضما إلى إسناد حديث أبي هريرة اعتضد الحديث بمجموعها، وارتقى إلى درجة الصحيح إن شاء الله تعالى.

فمن لا صبر له لا إيمان له»[(١)].

- **والصبر هو الحياة**، بمعنى أن بعض الناس يتمنى أن يكون طالب علم؛ وبعضهم يتمنى أن يكون حافظا لكتاب الله، أو أن يكون حليما أو أن يكون عابدًا إلا أنه ليس عنده صبر، وعليه فليس عنده حياة.

ولذلك يُروى: أن رجلا جاء إلى عنترة، فسأله عن سر قوته وشهرته؟ فقال له: سأدلك، وطلب منه أن يضع كل منهما أصبعه في فم الآخر ويعض عليه، ولكن الرجل كان قليل الصبر فلم يتحمل. فقال له عنترة: بهذا «أي بالصبر»، أدركت هذه الدرجة، ولو صبرت قليلا لقلت: «هزمت عنترة».

والصبر من المُصابرة. والإنسان إذا تعود على الصبر، أصبح التعود عليه جزءا أساسيا من حياته. فالشهوة مثلا تثور بالإنسان فإذا صبر انتهى الأمر، ولكن إذا مارس، حصلت له الندامة. وهذا يوسف لو لم يصبر لما ذكر في القرآن ولكنه صبر فكان مثلا. فعليكم بالصبر فإنه الحياة؛ لأن الذي ليس عنده صبر، ليس عنده حياة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرابعة: الصبر على الأذى فيه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ - ٣]...».

الشَّرْحُ:

هذا دليل على المسائل الأربع، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ

(١) الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. تخريج السيوطي، (فر) عن أنس رضي الله عنه (هب) عن علي موقوفا. قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيف جدا» مرفوعا وضعيف موقوفا، انظر حديث رقم: (٣٥٣٥) في ضعيف الجامع.

ﭐلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ ﴾... الآية.

و لنا فيه عدة وقفات:

- قوله تعالى: و: هذا قسم، والإنسان لا يقسم إلا بالله، وأما الله فيقسم بما شاء من مخلوقاته.
- العصر: المراد به «الدهر»، وقيل: أن المراد به: «الوقت المخصوص الذي هو في طرف النهار أو نهايته».
- إن الإنسان لفي خسر: أي إن جنس الإنسان في خسران.

إذا أردنا أن نشير إلى المعاني التي تشتمل عليها القواعد الأربع في هذه الآيات فهي على هذا الترتيب:

١- **العلم**: وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

٢- **العمل**: وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

٣- **الدعوة**: وهي مستفادة من قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ﴾.

٤- **الصبر**: وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال الشافعي** [١] رَحِمَهُ اللَّهُ: **لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم...**».

الشَّرْحُ:

أي: أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله،

(١) الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي. ولد في غزة سنة ١٥٠هجرية، وتوفى بمصر سنة ٢٠٤هجرية. وهو أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الشافعي. وكانت له قوة كبيرة في الفقه واستنباط الأحكام، ويقال: أنه أول من وضع علم أصول الفقه.

والإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر. أي أن هذه السورة تكفى، وليس معنى هذا أنها تُغني عن القرآن.

لأنها لو كانت تغني لصح الصلاة بها بدل الفاتحة، إلى غير ذلك من الأسباب الأخرى.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللهُ: «**قال البخاري** رَحِمَهُ اللهُ:[1] ...».

الشَّرْحُ:

وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ولد ببخارى سنة ١٩٤هجرية، ونشأ يتيمًا، وتوفي سنة ٢٥٦ هجرية، وهو صاحب الصحيح، وله الفضل بعد الله في حفظ السنة.

وكلام البخاري يدل على الترتيب، إذ لا بد من العلم أولا ثم العمل.

ولقد بوب بابًا بهذا المعنى؛ فقال: باب: «العلم قبل القول والعمل، ثم ذكر قول الله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل؛ لأن القول والعمل إنما هما ثمرة العلم».

وعليه فالمراتب ثلاث: (**علم - قول - عمل**).

وهذا الترتيب هو الأصل إلا في بعض الأحوال، مثل «الشهادتين»

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة ١٩٤هجرية، ونشأ يتيما في حجر والدته، وتوفي: في (خرتنك) - بلدة على فرسخين من سمرقند- ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هجرية عن عمر (٦٢) عاما، ومازال قبره هناك معروفا، وهو صاحب الصحيح، وله الفضل بعد الله عَزَّوَجَلَّ في حفظ السنة.

فمع أنهما «قول»، إلا أنهما يقدمان على العلم والعمل.

فلو قال قائل: «أصلي أولا، ثم أصدح بالشهادتين». قلنا له: لا يصح؛ لأن القول في هذه الحالة يقدم على ما سواه.

• قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **«اعلم - رحمك الله - أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث، والعمل بهن:...».**

الشَّرح:

«كل» هذه من ألفاظ العموم.

«أنه يجب على كل مسلم ومسلمة»:

المسلم: هو من أتى بالشهادتين ولم يأتِ بناقض.

والكافر: مُخَاطَب بفروع الدين، لكنه هنا يُخاطِب كل مسلم ومسلمة؛ لأن أصل الخطاب للمسلمين.

وتحديد المسائل بالثلاث من أجل التسهيل والتيسير على الناس.

وهذه المسائل هي:

• قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **«المسألة الأولى: أن الله خلقنا...».**

الشَّرح:

الخلق: هو الإيجاد على غير مثال سابق. والخلق من أفعال الربوبية.

الدليل على الخلق من الكتاب والسنة والعقل:

الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]. وقال أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: ٢]. وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠]. وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

السنة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»(١).

العقل:

۞ سؤال: *هل يجوز أن يقول قائل: إن هذا (الجوّال) قد اخترع نفسه؟*

الجواب: لا، ولو قال بخلاف ذلك أحد، لقلنا له: هذا سفه.

۞ سؤال: *إذا فهل يمكن لهذه الدنيا أن تسير بلا خالق؟*

الجواب: يستخلص من القصة المشهورة التي رويت عن أبي حنيفة

---

(١) متفق عليه، ورواه الترمذي وابن ماجه، وانظر: صحيح الجامع برقم (١٥٤٣).

ومناظرته لبعض أهل الكلام الذين أنكروا وجود الخالق جَلَّ جَلَالُهُ.

فيحكى عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أن قوما من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية. فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة، تذهب، فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسو بنفسها، وتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟! فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدا! فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!! وتحكى هذه الحكاية أيضا عن غير أبي حنيفة[1] رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي هذه القصة دليل على فطنة الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «و رزقنا...».

الشَّرْحُ:

الرزق: هو الإنعام، وهو من أفعال الربوبية.

الدليل على الرزق من الكتاب، والسنة، والعقل:

الكتاب:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات ٥٨].

السنة:

حديث عبد الله بن مسعود السابق ذكره، وفيه «**ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**».

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص(٨٥).

وكذلك قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«لو توكلتم على الله حق توكله؛ لرزقكم كما ترزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا»**(١).

العقل:

لو كان هناك من يتصرف ويرزق غير الله؛ لكان هناك ظلم كبير، وهذا لا يخفى على أحد. والطير أيضًا مع أن الله خلقها لا تعرف معنى الرزق إلا أن الله أعطاها وألهمها إياه.

- **قال المصنف** رحمه الله: **«و لم يتركنا هملا...»**.

الشَّرح:

أي: «سدى» بلا رعاية، بل أعطانا الرعاية. فالله - جل وعلا - أعطانا الرعايتين، الشرعية والدنيوية.

- **قال المصنف** رحمه الله: **«بل أرسل إلينا رسولا...»**.

الشَّرح:

أي: بعث إلينا رسولا وهو نبينا محمد ﷺ.

فَائِدَةٌ: إذا قيل: «**الرسول**» دخل فيه «**النبي**»، وإذا قيل: «**النبي**» دخل فيه

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي وابن حبان وعبد الله بن المبارك وابن أبي الدنيا والحاكم وأحمد والقضاعي. «تخريج مشكلة الفقر للألباني». وأخرجه ابن ماجه أيضا. وانظر حديث رقم: **٥٢٥٤** في صحيح الجامع.

الرسول، ولكن إذا قيل «**النبي الرسول**» فهنا يأتي الفرق. والعلماء قد اختلفوا في الفرق بينهما على أقوال منها:

أ- أن النبي هو من أتى بشرع من قبله، والرسول هو من أتى بشرع جديد.

ب- الرسول يكون للعامة، والنبي يكون للخاصة.

ج- الرسول من أُرسل إلى قوم معاندين، أما النبي من أرسل إلى قوم غير معاندين.

د- الرسول من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ.

وأصح التعاريف وأقربها:

أن الرسول هو الذي يأتي بشرع جديد، والنبي هو من يأتي بشرع من قبله. ولهذا وجد أكثر من نبي اجتمعوا في قوم في زمان واحد كما قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس: ١٣ - ١٤].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فمن أطاعه دخل الجنة...**».

الشَّرْحُ:

أي: من أطاع الرسول دخل الجنة؛ وهذا كما أخبر الرسول في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**».

الطاعة: هي الموافقة على وجه الاختيار.

الجنة: سميت بذلك؛ قيل: لكثرة أشكالها، وقيل: لأنها مستترة.

أبواب الجنة: ثمانية.

درجاتها: قيل أنها بعدد آي القران؛ لقول النبي ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأ بها**»(١).

ملحوظة: ذكر بعض العلماء أن الجنة لونها أصفر، واستدل بقول الله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [البقرة: ٦٩]. **ولكن هذا الكلام يحتاج إلى دليل.**

دخول الجنة على قسمين:

أ- دخول كامل: وهم الذين يدخلونها بغير حساب.

ب- دخول ناقص: وهو أن يحاسب الإنسان أولًا ثم يدخلها.

الجنة موجودة الآن، والدليل على ذلك:

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٨١):
أخرجه أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٥) وابن حبان (١٧٩٠) والزيادة له والحاكم (١/ ٥٥٢- ٥٥٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٤٩٨) وابن نصر في «قيام الليل» (ص٧٠) وأحمد (٢/ ١٩٢) والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص٧٦- ٧٧) والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٣٥/ ١١٧٨) وابن عبد الهادي في «هداية الإنسان» (٢/ ٤٤/ ١) من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله - زاد بعضهم: ابن عمرو - مرفوعا، وأوقفه بعضهم وهو في حكم المرفوع، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال الذهبي: «صحيح». وقد أطال الشيخ الألباني الكلام حول الحديث في السلسلة الصحيحة فليراجع إن شاء الله، لكن الخلاصة أنه صحيح.

الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

السنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الفجر: «**يا بلال! حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؟ فإني سمعت دفَّ نعليك بين يدي في الجنة**». قال: ما عملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا من ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي(١).

أقسام الطاعة:

أ- طاعة يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، وهي المتعلقة بالواجبات.

ب- طاعة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، وهي المتعلقة بالمستحبات.

• **قال المصنف** رحمه الله: «**ومن عصاه دخل النار...**».

الشرح:

المعصية: هي مخالفة الأمر عمدًا.

النار: هي الدار التي أعدها الله لمن عصاه، وهي موجودة الآن.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال النبي ﷺ: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: «**رأيت عمرو بن**

(١) متفق عليه، وانظر غير مأمور مشكاة المصابيح ومختصر إرواء الغليل.

عامر يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السائبة وبحر البحيرة»[1].

أسماء النار سبع وهي:

(جهنم، لظى، الهاوية، السعير، الحطمة، سقر، النار).

ودركات النار سبع، وأسفلها دركة المنافقين...لماذا؟

لأنهم جمعوا بين الكفر والنفاق.

أنواع دخول النار نوعان:

١- مؤقت. ٢- دائم.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦]...».

الشَّرْحُ:

الرسول: هو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«وبيلا»: أي ثقيلا.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المسألة الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل...**».

الشَّرْحُ:

أولا: هذا فيه إثبات صفة الرضا لله تعالى على ما يليق بجلاله. قال

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٥و٣٦٦)، والبخاري (٦/ ٤٠٠ و٨/ ٢١٣ - فتح)، ومسلم (٨/ ١٥٥) وابن أبي عاصم في الأوائل (٥/ ٢) وليس عندهم «و بحر البحيرة».

تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

ثانيا: الشرك: هو مساواة الله بغيره، أو صرف شيء من خصائص الله لغيره.

والله لا يرضى عن الشرك سواء كان أصغر أو أكبر.

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١- بالنسبة للنصوص:

إذا جاء الشرك معرَّفا بالألف واللام فالمراد به **الشرك الأكبر**، وإذا جاء مجردا منهما فالمراد به **الشرك الأصغر**.

٢- بالنسبة للأحكام:

يوجد بعض الفروق منها:

أ- أن صاحب الشرك الأكبر خالد مخلد في النار، بخلاف صاحب الشرك الأصغر فإنه يدخل النار على ما كان من العمل.

ب- الشرك الأكبر مخرج من الملة، أما الأصغر فلا.

ج- صاحب الشرك الأكبر يحل دمه وماله، بخلاف صاحب الشرك الأصغر فإنه لا يحل لا دمه ولا ماله.

د- الشرك الأكبر يحبط العمل، بخلاف الأصغر فإنه لا يحبط العمل كله.

هـ- صاحب الشرك الأكبر لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، وهذا على خلاف الشرك الأصغر.

والصحيح: أن الشرك الأكبر والأصغر لا يدخلان في المشيئة، كما اختاره المحققون من أهل العلم، وأن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

[النساء: ٤٨] المراد به الشرك الأكبر والأصغر.

«أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد...». أيُّ أحد.

ومعلوم أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم. وعليه فالله لا يرضى أن يشرك به أحد لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وعلى الجميع أن يعلم أيضا أن الشرك أظلم الظلم، وأن التوحيد أعدل العدل، وأوجب الواجبات.

«لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد...».

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة[(١)].

«لا ملك مقرب...».

والملك: مفرد جمعه ملائكة؛ وهم: عالم غيبي، خلقهم الله من نور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

«ولا نبي مرسل...»..

۞ **سؤال: لماذا قال الشيخ: «لا ملك مقرب ولا نبي مرسل»؟**

الجواب: لعل الحكمة من ذلك في أمور:

الأمر الأول: أن ذكر هؤلاء مع علو منزلتهم وهم أكرم الخلق، فلا يجوز لغيرهم من باب أولى.

الأمر الثاني: لعل أحد يعتقد أن مثل هؤلاء بيده نفعًا أو ضرًا، فأراد الشيخ أن ينفي هذا عنهم.

الأمر الثالث: أنه إذا كان هؤلاء لا يجوز اتخاذهم من دون الله أندادًا

(١) عرفها بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما في الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

مع قرب منزلتهم، فغيرهم من باب أولى.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨]...».

الشَّرح:

«**أنَّ**» حرف توكيد ونصب.

المساجد: هي موضع السجود والتي تقام فيها الصلاة.

ومعنى «**وأن المساجد لله**»: يعني لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة إلا لله.

«**فلا تدعوا...**».

سؤال: أيهما أعمّ، الدعاء أم العبادة؟

الجواب: أن الدعاء أعم من العبادة، إذا كان الدعاء بمعنى التعبد، والعبادة بمعنى المتعبد به؛ فالدعاء أوسع.

«**مع الله أحدا...**».

نكرة في سياق النفي تفيد العموم، يعني «أيّ أحد» مهما كان ومهما كانت منزلته.

وقوله: «**أحدا**» تفيد أمرين:

الأول: أيّ شخص.

الثاني: بأيّ عبادة أو طريقة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المسألة الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله، لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب...**».

الشَّرْحُ:

هذه مسألة عظيمة، وهي من أوجب الواجبات. وهي أن يعلم المسلم أنه لا يجوز له أن يوالي المشركين، أو أن يحبهم.

والموالاة هنا بمعنى المحبة، والنصرة، والمتابعة.

قوله «من حاد...».

المُحاد: هو المجانب المخالف لله ولرسوله.

أنواع المُحادين:

أولا: الكافر: وهو أشنعهم.

الثاني: المنافق: والمقصود به نفاق الاعتقاد.

الثالث: العاصي: والعاصي حسب المصلحة؛ لأنه حتى الكافر من الممكن أن ترجو فيه الإسلام فلا بأس في ذلك، ولكن أن تجلس معه لسنوات ثم تقول: أدعوه!

«ولو كان أقرب قريب...».

۞ **سؤال: لماذا قال: «ولو كان أقرب قريب»؟**

الجواب: لأن القريب له حق عليك، فإن كان يجب عليك أن تتركه إن كان كافرًا، فغيره من باب أولى.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ

لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة: ٤]. يعني: على طول الخط.

ولذلك قال الشيخ ابن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس في كتاب الله أبين ولا أوضح بعد الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك حكمًا من الموالاة لأعداء الله.

يعني ليس بعد قضية الشرك والتوحيد في كتاب الله أوضح من مسألة موالاة أعداء الله.

فالإنسان لا يعادي أولياء الله ولا يحب أعداء الله، فبعض الناس يدعي محبة الله وهو يحب أعداء الله، أين المحبة يا أخا الشيطان؟!!

انتبه: مما سبق يعلم أنه لا يجوز محبة الكفار، ولا نصرتهم، ولا مناصرتهم، ولا تعزيتهم، ولا تهنئتهم. وما انتشر البلاء في هذه الأيام إلا بسبب تقصير المسلمين في ذلك، فكلما قدمنا للأعداء تنازلا طمعوا فينا، ووالله إنها الحقيقة القرآنية التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

نعم، لن يرضوا منا بقضية أن تقود المرأة السيارة، ولن يرضوا منا بقضية الاختلاط، والشيء الوحيد الذي يرضيهم منا هو أن نترك ديننا ونتبع ملتهم: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وانظر إلى الحملات التي تسمى بـ: «**الحملات التبشيرية**»، فهم يبذلون الأموال والأوقات حتى يعود الناس إلى اليهودية والنصرانية. وإن كان النصارى أحرص من اليهود على أن يتبع الناس دينهم، إلا أن اليهود حريصون على إخراج الناس من دينهم فقط، وكفى بها من مصيبة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ

بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١]؛ ولذلك ذكر الشيخ من نواقض الإسلام: (موالاة الكفار ومحبتهم)، ثم قال الله بعدها: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

الشَّرْحُ:

ذكر أهل التفسير(١) أن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة رضي الله عنه حينما قتل

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح، حين قتل أباه يوم بدر؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة - رضي الله عنهم -: «ولو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته». وقيل في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر، ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ في الصديق، هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ ﴾ في مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ في عمر رضي الله عنه قتل قريبا له يومئذ أيضًا، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، والله أعلم.

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم. وقال =

أباه، ومصعب حينما قتل أخاه، وعمر حينما قتل قريبًا له.

(لا تجد قوما).

نكرة في سياق النفي تفيد العموم، والمعنى «أي قوم».

(واليوم الآخر)

۞ سؤال: لماذا قال «و اليوم الآخر»؟

الجواب: قال: «و اليوم الآخر»، من باب التهديد والوعيد لهم.

(آبائهم).

لماذا بدأ بالآباء؟ لأنهم أعظم حقا على الإنسان. ويدخل في الآباء الأب والأم.

ولذلك لما كان مصعب بن عمير في غزوة أحد، وكان أحد المسلمين يأسر أخاه يعني (أخا مصعب)، فنادى أخو مصعب مصعبًا؛ وقال: «أنقذني يا أخي»، قال: «لست بأخي، وإنما هذا أخي» وأشار إلى المسلم.

ولما جاء أبو سفيان في فتح مكة وأراد أن يجلس على فراش النبي ﷺ فجاءت أم حبيبة وطوت فراش النبي ﷺ فقال: يا بنية! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش؟ أم رغبت به عني؟

فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس.

قال: والله لقد أصابك بعدي شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئا[1].

ولما جاءت أم أسماء تريد أن تزورها ما كلمتها حتى استأذنت

= عمر رضي الله عنه: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكني من فلان-قريب لعمر- فأقتله، وتمكن عليًا من عقيل، وتمكن فلانًا من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين... القصة بكاملها.

(١) [ضعيف] قال الشيخ الألباني رحمه الله في فقه السيرة: إنه (ضعيف).

رسول الله ﷺ هل تفتح لها أم لا؟

في هذا دليل علي أن من والى في الله وعادى في الله، يكتب الله في قلبه الإيمان، ويعلي درجته.

إذن فوائد الولاء والبراء في هذه الآية لمن والى في الله وعادى في الله:

١- أنه يكتب من أهل الإيمان.

٢- أنه يؤيد بروح من الله.

٣- وأنه امتثل أمر الله.

٤- وأنه له الجنان في جنات ونهر.

٥- وأنه من حزب الله.

٦- وأنه من المفلحين.

٧- وأنه يطمئن قلبه.

واستدل الإمام مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم.

• **قال المصنف** رحمه الله: «اعلم - أرشدك الله إلى طاعته - أن الحنيفية ملة إبراهيم...».

الشَّرح:

«اعلم أرشدك الله»: هنا جمع بين التعليم والدعاء.

الرشد: هو الاستقامة علي طريق الحق.

أن الحنيفية: قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣].

الحنيفية: هي الملة التي بها الإخلاص لله، وموالاته، وموالاة أوليائه، وترك الإشراك به سبحانه وتعالى.

والحنيف: هو الذي أقبل على الله، وأعرض عما سواه، وأخلص في العبادة.

والملة: مأخوذة من المَلِّ، وهو التكرار. هذا في اللغة.

وأما في الاصطلاح: فهي ما تكرر فعله مما شرعه الله على لسان رسله من العقائد والأحكام.

وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء. والذي يظهر أنه أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

❁ **سؤال: لماذا لم يقل كلمة «صلى الله عليه وسلم» في حق إبراهيم؟**

الجواب: لأنه يظهر أن الصلاة على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحبة، وقد يكون الشيخ نسيها، وقد يكون ذكرها ولم يكتبها النسّاخ.

❁ **سؤال: لماذا يذكر إبراهيم كثيرا في القرآن الكريم؟**

الجواب: أولا: للاقتداء به. الثاني: لتضحياته عليه السلام.

ولعله أيضا للقرب الزمني بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام: يعني بينهما نسبة ملازَمة، فمن ملازمة إبراهيم للحنيفية نسبت إليه، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين...».

الشرح:

يعني تعبد الله بذل، وخوف، ومحبة، ورجاء، وهذه الأشياء لا تجتمع إلا لله عَزَّوَجَلَّ. فلا يمكن أن يوجد شخص تخافه وتحبه، بل إذا خفت منه فإنك تبغضه حينئذ. ولكن الله رب العالمين جمع بين أن تخافه وتحبه وترجوه.

«**أن تعبد الله وحده**»: وحده: تأكيد.

«**مخلصا**»: هو إخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ.

والمراد بالإخلاص لله وحده: أن تفرد العبودية لله عَزَّوَجَلَّ. وهو قصد المرء عبادته لله تعالى.

«**الدين**»: يطلق على يوم الجزاء، ويشمل أيضا الاعتقاد والعمل.

إذًا المرء العابد لله عَزَّوَجَلَّ ينقسم إلى قسمين:

١- أن يكون عابدا خالصا لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- أن يعبد الله، ويشرك معه غيره.

وغير العابد أيضا ينقسم إلى قسمين:

١- أن يكون غير عابد لله ولا لغيره، وهذا يسمى كافر.

٢- أن يكون عابدا لله ويعبد معه غيره، وهذا يسمى مشرك.

الذي ينافي الإخلاص هو الرياء.

الرياء: هو عمل الصالحات من أجل أمر دنيوي إما ثناء، أو سمعة،...الخ.

- **الفرق بين (الرياء والسمعة):**

أن الرياء يكون في الأعمال، والسمعة تكون في المسموع.

- **ما حكم الرياء؟**

الرياء إن كان يسيرًا فهو شرك. وأما إن كان دخول الإنسان أصلا في العبادة من أجل الرياء فهذا هو النفاق.

والرياء في العمل إن كان يسيرًا ودافَعَه فلا يضر. وأما إن كان غالب أعماله رياء فهذا كفر.

أما إذا استمر معه الرياء: فإن كان العمل ينفصل بعضه عن بعض، صح فيما أخلص، وبطل فيما لم يخلص.

مثال: لو ألقى أحدهم (درسًا بالأمس) وقد غلبه الشيطان فوقع في الرياء، ثم ألقى درسًا اليوم ولم يحدث في قلبه شيء، هل يصح العمل منه في الدرسين؟

الجواب: لو أن الله قدر لهذا العبد أنه قد راءى بالأمس أمام الحضور، ولكنه تاب إلى الله وعاد، صح منه في اليوم، ولم يصح في الأمس.

مثال أخر: رجل قرأ جزءًا من القرآن فأثنى عليه الناس، فدفعه ذلك إلى قراءة جزء آخر، هل يصح منه أم لا؟

الجواب: يصح منه فيما قرأ أولًا، ولم يصح فيما قرأ ثانيًا. أما إذا كان متصل بعضه ببعض، صح إن شاء الله تعالى.

وعليه فلو أخلص المحاضر في أول الدرس، ثم راءى في آخره بطل العمل كله، وأما من تاب فأمره إلى الله.

❁❁❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها...**».

الشَّرْحُ:

«وبذلك أمر الله جميع الناس»، وهو قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١].

فأول عمل هو إخلاص العبادة لله عز وجل. ولذلك فالمناسب أن نعلم أنه إذا طرأ الرياء بعد العمل فلا يضر، وإذا عمل العمل ثم أثني عليه فلا يضر، ولكنه عليه أن يجاهد نفسه.

• **قال المصنف** رحمه الله: «**كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾** [الذاريات:٥٦]، **ومعنى (يعبدون) يوحدون...**».

الشرح:

قال مجاهد: المعنى إلا لآمرهم وأنهاهم. وقيل: إلا ليخضعوا لي ويتذللوا، والعبادة هي الذل والخضوع والانقياد.

يعني ما خلق الله الخلق ليعز بهم من ذل، أو يتقوى بهم من ضعف، ولكن الله خلق الخلق لفائدة تعود على أنفسهم، وهي أن يعبدوه سبحانه وتعالى. وبعض الناس يأتي بالأولاد يريد أن يتقوى بهم وينفعونه، وهذا فيه ما فيه.

العبادة نوعان:

١- عامة: ويدخل فيها المؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣].

٢- خاصة: وهي خضوع لأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر: ١٦].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأعظم ما أمر الله به التوحيد...».

الشَّرْحُ:

أي أعظم الأوامر هو الأمر بالتوحيد.

وقد تنوع أسلوب القرآن في الأمر بالتوحيد فمنه:

١- الأمر الصريح؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته.

٢- الثناء على الموحدين.

٣- موعود الآخرة.

٤- الثمرات الدنيوية، مثل الأمن والاطمئنان وغيرها.

التوحيد: هو إفراد الله ﷻ بما يختص به.

أنواع التوحيد، ثلاثة:

١- الربوبية: وهو إفراد الله بالخلق، والملك، والتدبير. أو هو إفراد الله بأفعاله. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى مبينا أنه الرب المعبود وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وما فيهما على عظمهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما. ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاهما وأودع فيهما من أمره ما أودع ﴿اسْتَوَىٰ﴾ تبارك وتعالى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ العظيم الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، ولهذا قال: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ﴾ المظلم ﴿النَّهَارَ﴾ المضيء، فيظلم ما على وجه الأرض، ويسكن الآدميون، وتأوي المخلوقات إلى مساكنها، ويستريحون من التعب، والذهاب والإياب الذي حصل لهم في النهار. ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ كلما جاء الليل ذهب النهار، وكلما جاء النهار ذهب الليل، وهكذا أبدا على الدوام، حتى يطوي الله هذا العالم، وينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار. ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ أي: بتسخيره وتدبيره، الدال على ما له من أوصاف الكمال، فخلْقُها وعظَمُها دالٌّ على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: عظم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها،

وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته، ولهذا قال: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢- **الألوهية**: وهو إفراد الله بالعبادة، أو هو إفراد الله بأفعال العباد. وهذا النوع من التوحيد هو الذي وقع فيه قتال الأنبياء لأقوامهم، وحصل بسببه مفارقة الأنبياء لهم.

٣- **الأسماء والصفات**: وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأعظم ما نهى عنه الشرك...**».

الشرح:

أي وأعظم ما نهى الله عنه هو الشرك.

وقد تنوع أسلوب القرآن في النهي عن الشرك؛ منها:

١- النهي الصريح عن الشرك، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

٢- العذاب الأليم للمشرك.

ضرب الأمثال في التنفير من الشرك، قال تعالى:

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

٤- إنكار الطيور والحيوانات للشرك، مثل إنكار الهدهد على المشركين في سورة النمل، قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٥].

والشرك: هو صرف شيء من خصائص الله لغيره.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦]...».

الشَّرْحُ:

قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾ هذا فعل أمر.

قوله: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ هذه نكرة في سياق النفي تفيد العموم، والمعنى: ولو كان شيئا يسيرا.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة؟...».

الشَّرْحُ:

كل ما مضى إنما كان مقدمة بين يدي الأصول الثلاثة، والآن يبدأ الشيخ في بيان هذه الأصول فبدأ بإلقائها على هيئة السؤال والجواب من أجل جذب انتباه السامع، ولتنوع الخطاب.

«الأصول»: جمع «أصل»، وهو ما يُبنى عليه غيره.

وهذه الأصول هي التي يرجع إليها الدين؛ وهي معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه. كما أنها أصول الأسئلة التي سيسأل العبد عنها في قبره. وهي أعظم العلم الذي على العبد أن يحصله. وليس المقصود بذلك مجرد العلم، وإنما العلم مع العمل، وها نحن نرى الشيخ المصنف يُجْمل ثم يأتي التفصيل.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ، فإذا قيل: لك من ربك؟...**».

الشَّرح:

قوله: «من ربك؟» هذا السؤال له أصل في السنة، فالنبي ﷺ سأل الجارية قائلا: «**أين الله؟ قالت: في السماء... الحديث**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠ - ٧١) وكذا أبو عوانة (٢/ ١٤١ - ١٤٢) وأبو داود (٩٣١،٩٣٠) والنسائي (١/ ١٧٩-١٨٠) والدارمي (١/ ٣٥٣-٣٥٤) والطحاوي في (شرح المعاني) (١/ ٢٥٨) وابن الجارود في (المنتقى) (ص١١٣ - ١١٤) والبيهقي (٢/ ٢٤٩ - ٢٥٠) والطيالسي (١١٠٥) وأحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨) من طريق يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيدهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**» - أو كما قال رسول الله ﷺ- قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالا يأتون الكهان قال: «**فلا تأتهم**» قال: ومنا رجال يتطيرون قال: «**ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**» قال: قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذلك**».
قال: وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم أسف كما يأسفون لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله أفلا اعتقها - وفي رواية: لو أعلم أنها مؤمنة لأعتقتها- قال: «**ائتني بها فأتيته بها**» فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**». والسياق لمسلم والرواية الأخرى لأبي عوانة وفي روايته: «**إن صلاتنا هذه لا يصلح...**» إلخ. مثل رواية المصنف وقد صرح يحيى بن أبي كثير بالتحديث في رواية لأحمد. وقد قال الذهبي في أول كتابه (العلو): «حديث صحيح رواه جماعة من الثقات عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية السلمي أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم يمرونه كما جاء ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف».

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فقل: ربي الله الذي رباني، وربى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي وليس لي معبود سواه...**».

الشَّرْحُ:

الرب: هو المالك المتصرف.

وهذا اللفظ مأخوذ من شيئين:

١- الملك والتصرف.

٢- التربية.

۞ سؤال: *هل يجوز إطلاق الرب على المخلوق؟*

الجواب: نعم، ولكن بشرط الإضافة وبدون الألف واللام، فتقول: رب الدابة، ورب الأسرة.

«**فقل**»: هذا تلقين للحجة والعلم.

«**الذي ربّاني**»: أي الذي تعاهدني بالتربية الجسدية والروحية، أو المادية والدينية.

«**الله**»: هو المألوه محبة وتعظيمًا.

«**العالمين**»: كل ما سوى الله.

- **نِعَم الله على قسمين**:

١- ظاهرة.

٢- باطنة.

وأعظم نعمة مَنَّ الله بها على عبده أن جعله مسلما.

«**و هو معبودي**»: أي أنا أعبده.

«**و ليس لي معبود سواه**»:

سؤال: هل المقصود نفي الاستحقاق أم نفي الفعل؟

الجواب: النفي هنا نفي للاستحقاق أي نفي استحقاق العبادة عن كل من سوى الله، وإثباتها لله وحده، وليس نفي الفعل؛ لأن هناك من يعبد غير الله.

* قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]».

الشَّرْحُ:

قال الشيخ محمد الأشقر: الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، والحمد باللسان والشكر باللسان والقلب والأعضاء، والرب اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلا مضافًا.

لنا هنا عدة وقفات:

١- قوله: «الحمد لله» افتُتح بها القرآن، وهي أفضل ما يُحمد به الله عَزَّ وَجَلَّ.

٢- الألف واللام لاستغراق جميع أنواع الحمد.

٣- عبر بالجملة الاسمية لكي تفيد الدوام والاستمرار.

٤- «الحمد»: هو وصف المحمود بجميع صفات الحمد والكمال مع المحبة والكمال.

فَائِدَةٌ: افتتحت خمس سور بالحمد وهي: (الفاتحة - الأنعام - الكهف - سبأ - فاطر)، وختمت به سورتان وهما: (الزمر - الصافات).

و آخر دعوة أهل الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[(١)]. ويقال عند قضاء الخلق: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[(٢)]. وكذلك عند الانتهاء من الأكل.

الرب: هو المعبود، الخالق، المالك، المدبر لجميع أمور العباد، وهو المستحق للعبادة.

وهناك من عُبد لكنه لا يستحق العبادة، والدليل على أن الله مستحق للعبادة قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١﴾ [الفاتحة: ١].

❁—❁—❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«و كل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم. فإن قيل لك: بما عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته...»**.

❁ *سؤال: ما الفرق بين المخلوقات والآيات؟*

الجواب: قيل: إن المخلوقات ثابتة، كقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ۝٢٢﴾ [الروم: ٢٢]. وأما الآيات فهي التي تذهب وتجيء، مثل الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت: ٣٧].

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ٩- ١٠].

(٢) قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: ٧٥].

قال الشيخ السعدي: أن من آياته الدالة على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته، وسعة سلطانه، ورحمته بعباده، وأنه الله وحده لا شريك له، الليل والنهار؛ هذا بمنفعة ضيائه، وتصرف العباد فيه، وهذا بمنفعة ظُلَمه، وسكون الخلق فيه. والشمس والقمر اللذان لا تستقيم معايش العباد، ولا أبدانهم، ولا أبدان حيواناتهم، إلا بهما، وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده.

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ **فإنهما مدبران مسخران مخلوقان.** ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ **أي: اعبدوه وحده، لأنه الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما سواه من المخلوقات، وإن كبر جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، وإنما هو من خالقه، تبارك وتعالى.** ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ **فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له.**

و الآيات تنقسم إلى قسمين:

١- **كونية:** مثل الشمس والقمر.

٢- **شرعية:** مثل القرآن.

❁❁❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]. **ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع، ومن فيهن وما بينهما...».**

فَائِدَةٌ: من آيات الله الكونية (السموات السبع)، فهل الأرض سبع أيضًا؟

الجواب: نعم، أما السموات السبع، فقد ذكرت في القرآن صراحة؛ كما في قول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك: ٣].

و أما الأرض فلم يذكر في القرآن أنها سبع، ولكنه أشار إليها في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

و أما السنة فقد ورد فيها ذكر السموات السبع والأرضين السبع: «إن نبي الله نوحًا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، آمرك بـ: (لا إله إلا الله) فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت (لا إله إلا الله) في كفة؛ رجحت بهن (لا إله إلا الله)، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن (لا إله إلا الله)، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن الشرك والكبر. قال: قلت -أو قيل-: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ - قال -: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا. قال: هو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا. قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: «**سفه الحق وغمص الناس**(١)».

---

(١) قال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٠٩): رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٨) وأحمد (٢/ ١٦٩- ١٧٠، ٢٢٥) والبيهقي في الأسماء (٧٩هندية) من طريق الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم. قال حماد: أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال:كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس. قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع. قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته وقال: ألا أرى عليك لباس من لا يعقل، ثم قال:فذكره. وقلت: وهذا سند صحيح. وقال الهيثمي (٤/ ٢٢٠): «رواه أحمد والطبراني بنحوه، وزاد في رواية: وأوصيك بالتسبيح فإنها عبادة الخلق، وبالتكبير. ورواه البزار من حديث ابن عمر، ورجال أحمد ثقات».

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧].

الشَّرح:

قدم الضمير «إياه» من أجل إفادة الحصر والقصر.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤]».

الشَّرح:

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الأيام هي أيام الدنيا. فسبحانه خلقها ثم استوى واعتلى. ثم يجعل الليل كالغشاء للنهار. فسبحانه الكون كله خلقه والأمر أمره.

قوله: حثيثًا أي سريعًا.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤]».

الشَّرح:

قوله: تبارك أي تعاظم.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرب هو المعبود...».

الشَّرْح:

أي: المستحق للعبادة، ولهذا فان جميع المعبودات تسقط يوم القيامة إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**و الدليل قوله تعالى**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة**)».

الشَّرْح:

قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ هذا أول أمر في القرآن، وهو أمر بالتوحيد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾: المراد بهم بنو آدم.

قوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾.

الند: هو المُوافق والمشابه، بينما الضد: هو المعارض.

وبهذا يعلم أن أول نهي في القرآن هو عن الشرك. وهذا يدل على أهمية التوحيد وعظيم شأنه. كما أنه يدل على أن القرآن يجعل توحيد الربوبية دليلا على توحيد الألوهية، وأن الربوبية إذا ذكرت بمفردها دخل فيها توحيد الألوهية، والعكس صحيح أيضا، وأنهما إذا اجتمعا حصل التفريق المشهور.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:[(١)]، وهو صاحب التفسير وهو من علماء أهل السنة، ومنهجه في التفسير منهج فريد، إذ هو يفسر القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وأنواع العبادة مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه: الدعاء والخوف، والرجاء،...**».

الشَّرحُ:

يلاحظ أن هذه العبادات أغلبها قلبية، وأن قليل منها للجوارح، وذلك لأهمية أعمال القلب.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها. كلها لله تعالى...**».

الشَّرحُ:

فهذه العبادات وغيرها، لا يجوز صرف شيء منها لغير الله ولو كان شيئا يسيرًا، بل يجب أن تصرف كلها لله. ولو أن إنسانا دعا غير الله ولو للحظة واحدة؛ لأشرك ووجب عليه التوبة وتجديد الإسلام.

---

(١) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ المشهور، صاحب التفسير والتاريخ، من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة (٧٧٤)هـ.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨]. فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر...».

الشَّرْحُ:

قال الشيخ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: مختصة به.

﴿فَلَا تَدْعُواْ﴾ أي: فلا تعبدوا فيها غيره. تعريض بما كان عليه المشركون من عبادتهم غيره تعالى بمسجده الحرام، ونصبهم فيه التماثيل والأنصاب، وبما عليه أهل الكتاب، فإن المساجد لم تُشَدْ إلا ليذكر فيها اسمه تعالى وحده. ومن هنا ذهبت الحنابلة إلى أنه لا يجتمع في دين الله مسجد وقبر، وأنّ أيهما طرأ على الآخر وجب هدمُه.

سؤال: هل هناك فرق بين المشرك والكافر؟ وهل إذا اجتمعا افترقا؟

الجواب: قالوا إن الكفر أعم؛ لأن المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره، ولكن الكافر يعبد غير الله. ولذلك كل مشرك كافر وليس العكس.

وقد يوجد كافر لا يعبد أحدا وهذا أقبح.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

الشَّرْحُ:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: أي ومن يعبد مع الله إلهًا آخر بالدعاء والخوف أو الرجاء أو النذر لا حجة له ولا سلطان.

قوله: لا برهان له به أي لا حجة معه.

۞ سؤال: هل الذي يعبد غير الله معه حجة؟

الجواب: ليس معه حجة. وبمعنى آخر، هل لو كان الذي يعبد غير الله معه حجة تصح عبادته؟

الجواب: لا، وهنا يأتي السؤال:

لماذا قال: ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾؟

والجواب عن هذا أنه قالها لأمرين:

١- إما لبيان الواقع، وذلك أن المشرك يظن أن له حجة في عبادته غير الله.

٢- وإما أن هذا القيد لا مفهوم له، ولكن الله ذكره من باب التنزل مع الخصم. والمرء أحيانًا يتناقش مع إنسان فيتنزل معه في الكلام ليناسب مستواه.

وأقول: لعل هناك أمرًا ثالثًا:

وهو أن هذا من باب تطمين الخصم، فيبحث في حججه فلا يجدها شيئا.

قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ هذا دليل على عدم فلاح الكافر مهما كان، وقد يفلح في الدنيا ولكن ليس له في الآخرة من نصيب.

❁❁❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحديث «الدعاء مُخُّ العبادة». والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]...».

الشَّرح:

هذا حديث ضعيف(١). وأصح منه: «**الدعاء هو العبادة**»(٢).

وبدأ بالدعاء لأهميته.

والدعاء على نوعين:

١- دعاء عبادة: وهو كالصلاة، والزكاة،...الخ، ولذلك قلَّ أن تجد عبادة إلا وفيها الدعاء، حتى الزكاة قال الله فيها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

٢- دعاء المسألة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

قال الشيخ محمد الأشقر: أي دعائي، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله، فوجهوا رغباتكم له سبحانه.

فسمى الله الدعاء عبادة؛ وكما ورد في الحديث: «**الدعاء هو العبادة**». والإنسان إذا دعا الله فينبغي عليه أن يلح في الدعاء؛ لأن الله يحب الملحين في الدعاء؛ كما ورد في الحديث: عن سلمان رضي الله عنه قال:

---

(١) حدثنا علي بن حجر أخبرنا الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر عن أبان بن صالح عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء مخ العبادة**». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

تحقيق الألباني: ضعيف بهذا اللفظ، الروض النضير (٢/ ٢٨٩)، المشكاة (**٢٢٣١**) ضعيف الجامع الصغير (**٣٠٠٣**).

(٢) (صحيح) وهو من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» [غافر: ٦٠]. رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين**»(١).

والإنسان إذا دعا الله فإنه يتحصل على إحدى ثلاث:

١- إما أن يستجاب دعاؤه.

٢- وإما أن يدخر له إلى يوم القيامة.

٣- وإما أن يدفع عنه شرا.

والإنسان قد يدعو فلا يُستجاب له، وذلك لأمور؛ منها:

١- أن يكون قد أخلّ بآداب الدعاء، مثل الاعتداء في الدعاء.

٢- أن يكون الدعاء فيه إثم.

٣- أن يكون هناك مانع من موانع إجابة الدعاء مثل أكل الحرام، أو قطيعة رحم، أو ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٤- أن يصرف الله، بحكمته، هذا عن الإنسان لأنه بلاء.

يقول عمر رضي الله عنه: «والله إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء»(٢).

لأن الإنسان إذا أحسن الدعاء إلى الله استجاب الله دعاءه. والدعاء من أعظم العبادات وأفضلها، بل هو أساس العبادة وركنها، وصرفه لغير الله شرك.

يقول أحد السلف: «و الله إني لأسال الله كل شيء حتى الملح للطعام». ولذلك يحب الله عز وجل الذين يسألونه.

---

(١) (صحيح) رواه أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم.

يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب[١]

۞ سؤال: متى يكون الدعاء شرك؟

الجواب: إذا صرف لغير الله، كمن يدعو الأموات، فبعضهم ينادي المعتصم قائلا: «وا معتصماه». أو يقول: «يا رسول الله لو خرجت ورأيت ما نحن فيه». أو «قم يا صلاح الدين». فإن كان المقصود به الاستغاثة فهذا شرك، وإن كان المقصود به حث الهمم فهذا محرم للتشبه بالمشركين.

وينبغي على الإنسان أن يحرص على الدعاء ولا يَمَلّ، وقد قال النبي ﷺ: «**أيها الناس عليكم بالقصد، عليكم بالقصد، فإن الله لا يمل حتى تملوا**»[٢].

فعلى الإنسان أن يكثر من الدعاء ولا يمل. وعليه أيضا أن يتجنب

---

(١) قال أبو العتاهية:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبُني آدم حين يُسأل يغضب
فاجعل سؤالك للإله فإنما في فضل نعمة ربنا تتقلب

(٢) قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٣٥٤): أخرجه ابن ماجه (٤٢٤١) وأبو يعلى (٢/ ٤٩٧) وابن حبان (٦٥١) من طريق يعقوب بن عبد الله القمي حدثنا عيسى بن جارية عن جابر قال: «مر رسول الله ﷺ على رجل قائم يصلي على صخرة، فأتى ناحية مكة، فمكث مليا، ثم أقبل فوجد الرجل على حاله يصلي، فجمع يديه ثم قال: » فذكره. قلت: وهذا إسناد محتمل للتحسين، رجاله موثوقون، وعيسى بن جارية مختلف فيه، وقال الحافظ: «فيه لين». وقال البوصيري في «الزوائد» (٢٨٦/ ١): «هذا إسناد حسن، يعقوب مختلف فيه، والباقي ثقات». كذا قال، ولا يخفى ما فيه لكن الحديث صحيح، فإنه يشهد له حديث بريدة مرفوعا: «عليكم هديا قاصدا، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه». أخرجه أحمد وغيره وقد خرجته في «ظلال الجنة في تخريج السنة» لابن أبي عاصم (٩٥- ٩٧). وحديث عائشة مرفوعا: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا». رواه الشيخان وغيرهما وهو مخرج في «صحيح أبي داود» (١٢٣٨) ومضى له شاهد (١٧٠٩).

الاعتداء في الدعاء؛ ومن الاعتداء في الدعاء ما يلي:

١- **السجع المتكلف**: مع العلم أنه لا بأس بالسجع غير المتكلف أحيانا؛ لأن النبي ﷺ فعله، حيث قال: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير**»[1].

٢- **التفصيل**: فإن النبي ﷺ أوتي جوامع الدعاء، ولم يكن يفصِّل كما يفعل البعض حين يقول على سبيل المثال: «اللهم إني أعوذ بك من النار، وحَيَّاتِها، وعَقَاربها، وسلاسلها، وأغلالها...الخ». أو «اللهم اغفر لأقاربنا وعماتنا وخالاتنا...الخ»، ويعد العائلة الكريمة!

٣- **التعميم في الدعاء**: مثل قول بعضهم: «اللهم دمر اليهود». واليهود لا يدمرون جميعا؛ لأن هذه سنة كونية. ومثله قولهم: «اللهم دمر الكافرين». وهذا لا يمكن لأنه يخالف مقتضى حكمة الله، فالله هو الذي قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: ٢]. ولكن الصواب أن تقول: «عليك باليهود المعتدين». فهذا تقييد.

❁—❁—❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ودليل الخوف قوله تعالى**: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]...».

---

(١) تخريج السيوطي (ق) عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. تحقيق الألباني (صحيح). انظر: حديث رقم: (١٢٦٤) في صحيح الجامع.

الشَّرْحُ:

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ أي: إن ترهيب من رهب من المشركين، وقال: إنهم جمعوا لكم، داع من دعاة الشيطان، يخوف أولياءه الذين عدم إيمانهم، أو ضعف. ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه المستجيبين لدعوته. وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله.

الخوف: هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو أذى. والآية السابقة دليل على أن الخوف من الله شرط للإيمان.

أنواع الخوف:

١- الطبيعي: كخوف الإنسان من الأسد، أو السبع، وهذا لا يلام عليه. قال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ١٨]. فهذا لا بأس به، ولو كان مذمومًا ما ذكره. فهذا لا بأس به بشرط: ألا يترتب عليه فعل محرم أو ترك واجب.

٢- خوف العبادة: وهو أن يخاف أحدا فيتعبد له. وهذا لا يكون إلا لله، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

٣- خوف السر: كأن يخاف صاحب قبر أو ولي...الخ. وهذا أيضا شرك.

٤- خوف يؤدى إلى ترك واجب أو فعل محرم: وهذا شرك أصغر.

والخوف من حيث المحمود والمذموم على نوعين:

١- محمود: وهو الذي يحول بينك وبين المعصية.

٢- مذموم: وهو على نوعين:

أ- إذا خفت من غير الله وصرفت له شيء من العبادة.

ب- إذا خفت ووصل بك الخوف إلى اليأس من روح الله.

والمسلم ينبغي عليه أن يخاف من الله، وإمام الخائفين هو محمد ﷺ «كان إذا صلّى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل»[(١)].

و كذلك الصحابة كانوا يخافون من الله؛ فهذا أبو بكر كان يمسك لسانه ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد»[(٢)]. وعمر كان له خطان في خديه، من شدة البكاء خوفا من الله.

والخوف ليس مجرد بكاء العين فقط، ولكن الخوف الحقيقي هو الذي يحجزك عن المعاصي.

والملائكة - مع عِظَم خلقهم - من أخوف المخلوقات لله، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠].

فَائِدَةٌ: كلما اقتربت من الله كلما زاد خوفك منه، فكل شيء تقترب منه تأمنه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ولذلك أشد الناس خوفًا من الله هم أكثرهم

---

(١) (صحيح) وهو من حديث عبد الله بن الشخير قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل - يعني: يبكي-». رواه أبو داود والنسائي والبيهقي وأحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم٥٤٥).

(٢) (صحيح) وعن أسلم قال: إن عمر رضي الله عنه دخل يوما على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجبذ لسانه؛ فقال عمر رضي الله عنه: مه غفر الله لك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «إن هذا أوردني الموارد». [رواه مالك].

عبادةً له، وعلمًا به، وقربًا منه، وأما العاصي فلا يبالي؛ ولذلك فإن المسلم الذي يخاف من الله لو ترك يوما صلاة الفجر؛ لضاقت به الدنيا، ولو نظر يوما إلى محرم لوجل من الله أشد الوجل. ولذلك يقول الله في الحديث القدسي: «**يقول الله عَزَّوَجَلَّ: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة**»[1].

❁ سؤال: *كيف ندرب أنفسنا على الخوف من الله؟*

الجواب:

أولًا: بقراءة سير السلف في الخوف من الله، وإمامهم في ذلك هو المصطفى ﷺ.

(١) قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٥٥): رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٦٣/ ٢ من الكواكب ٥٧٥ ورقم ١٥٧- ط): حدثنا عوف عن الحسن مرسلا. قلت: وهذا سند صحيح لولا الإرسال، لكن قال عقبه بن صاعد: حدثنا محمد بن يحيى بن ميمون - بالبصرة- قال: حدثنا عبدالوهاب بن عطاء قال: حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ نحوه. قلت: ورجاله كلهم ثقات معروفون حديثهم حسن غير محمد بن يحيى هذا فلم أجد له ترجمة. لكن تابعه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء به. أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (رقم ٢٤٩٤ - الموارد). ثم رأيت الهيثمي (١٠/ ٣٠٨) قد أورد الحديث من مرسل الحسن، ومسند أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم قال: «رواهما البزار عن شيخه محمد بن يحيى بن ميمون، ولم أعرفه، وبقية رجال المرسل رجال «الصحيح»، وكذلك رجال المسند، غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث». وهو عند البزار (٤/ ٧٤/ ٣٢٣٢ و٣٢٣٣ - كشف الأستار). وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٨٢- ٤٨٣)، من طريق أبي داود حدثنا محمد بن يحيى بن ميمون العتكي حدثنا محمد بن عبدالوهاب به. قلت: وأبو داود هو (السجستاني) صاحب «السنن» فيكون لابن ميمون هذا ثلاثة رواة عنه حفاظ: أبو داود وابن صاعد والبزار. ومن كان هذا شأنه، لا يكون مجهولا ومحله الصدق إن شاء الله تعالى، لاسيما وقد تابعه الجوزجاني - وهو ثقة حافظ رواه ابن حبان كما تقدم، وإليه فقط عزاه المنذري في «الترغيب» (٤/ ١٣٨) وأشار إلى تقويته.

ثانيًا: زيارة المقابر وتذكر مصير الإنسان.

ثالثًا: التأمل وعدم الأمن من مكر الله.

رابعًا: تذكر ذنوبك وسيئاتك.

خامسًا: قراءة الأحاديث والآيات مع شرحها وتفسيرها.

والخوف يكون بأمور:

١- أن يخاف الإنسان من الله أن ينزل عليه عذابه.

٢- أن يخاف من سوء الخاتمة. فالإنسان يحرص على أن يطلب من ربه حسن الخاتمة.

قصة: هذا رجل قام يوم الجمعة ليؤذن، وفي أثناء الأذان سقط ميتا والعجيب أن ابنه قال: «لقد نطق الشهادتين ثم وقع ميتا». وهذه بشرى له إذْ مات يوم الجمعة والنبي ﷺ يقول: **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر»**[1].

والثاني: أنه مات وهو يؤذن. فمثل هذا الرجل يتمنى المرء أن لو كان مكانه.

يروى أن سفيان الثوري رفع يومًا عود أراك؛ وقال: «والله ما تعدل عندي ذنوبي مثل هذا، ولكن أخشى أن يُسلب الإيمان قبل الموت».

٣- أن يخاف ألا يبالي الله به يوم القيامة.

فعلى الإنسان أن يحرص على الخوف من الله ويترقب وعد ربه، ويخشى ذنوبه، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «المؤمن ينظر إلى ذنوبه كأنه جبل

---

(١) أخرجه أحمد (٦٥٨٢ - ٦٦٤٦) من طريقين عن عبد الله بن عمرو، والترمذي من أحد الوجهين، وله شواهد عن أنس وجابر بن عبد الله، وغيرهما، فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

وقع عليه، وأما المنافق فيراه كأنه ذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا»(١).

ويكون الخوف شركًا، إذا خاف من قبرٍ أو خاف من صنم.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

الشَّرْحُ:

والرجاء: هو الطمع، وهو الطمع في أمر قد يكون قريبا أو بعيدا.

أنواع الرجاء:

- أن يرجو المخلوق فيما يقدر عليه المخلوق فهذا جائز
- رجاء الله عَزَّوَجَلَّ وهذا هو المطلوب.

إن الرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون الا لله، وصرفه لغير الله قد يكون شرك أكبر أو أصغر بحسب ما يقوم به قلب الراجي.

متى يكون الرجاء المحمود:

من عمل طاعة يرجو ثوابها، أو تاب من معصية يرجو قبول توبته.

أما الرجاء بلا عمل فهو غرور وهو مذموم.

(١) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يوشك أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار». رواه الترمذي وصححه الألباني. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ».

• **قال المصنف** رحمه الله: «ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ.. ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣]».

الشَّرح:

التوكل: هو اعتماد القلب على الله عز وجل.

والتوكل أنواع:

- التوكل على الله، وهو من تمام الإيمان وهو واجب.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٢٢].

- التوكل على الميت في جلب نفع أو دفع مضرة، وهذا شرك أكبر.

- التوكل على المخلوق فيما يقدر عليه المخلوق مع التفات القلب وهذا شرك أصغر

- التوكل على المخلوق فيما يقدر عليه المخلوق فيما تدخل فيه النيابة وهذا جائز لأن النبي ﷺ وكّل عليا في ذبح ما بقى من هديه في حجه الوداع.

ثمرات التوكل:

- إنه شرط الإيمان ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

- أن الله كافيه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ... ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣].

- تغير السنن الكونية من اجل المتوكل، فالبحر يغرق وسار موسى عليه السلام ثم قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء:٦٢]، والنار تحرق لما قال إبراهيم ﷺ حسبي الله ونعم والوكيل ﴿قُلْنَا

يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

- محبة الله للمتوكل وغيرها من الثمار

❁❁❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]».

الشَّرْحُ:

الرغبة: هو محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

الرهبة: هي أدق من الخوف وهي ثمره الخوف.

و الخشوع: هو الذل لعظمة الله عَزَّوَجَلَّ.

وتكون الرغبة شركا: اذا التفت القلب الى غير الله عَزَّوَجَلَّ.

وتكون الرهبة شركا: اذا رهب من غير الله رهبة شديدة.

ويكون الخشوع شركا: مثل الذين يخشعون عند القبور.

❁❁❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «دليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ... ﴿١٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٠]».

الشَّرْحُ:

الخشية أخص من الخوف، وتكون شركا: اذا خشي غير الله، والتفات القلب لغير الله.

❁❁❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودليل الانابة قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤]، الإنابة أرق من التوبة، وتكون شركا كالذين ينيبوا عند القبور ويبكون عند القبور».

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]».

الشَّرْح:

وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله»

الاستعانة: هي طلب العون، وهي أقسام:

- الاستعانة بالأموات وهو شرك مطلق.
- الاستعانة بالأحياء في شيء لا يقدرون عليه فهذا شرك.
- الاستعانة بمخلوق وهو حاضر وهذا مباح بشرط عدم التفات القلب اليه.
- الاستعانة بالله وهي مطلوبة في كل أحوال الإنسان وتصرفاته.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١]».

الشَّرْح:

الاستعاذة: وهي طلب الإعاذة، وهي أنواع:

- الاستعاذة بالأموات وهذا شرك
- الاستعاذة بالأحياء في ما لا يقدرون عليه فهذا شرك.

- الاستعاذة بحي فيما يقدر عليه فهذا جائز بشرط عدم التفات القلب.
- الاستعاذة بالله وهذه مطلوبة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ... ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩]».

الشَّرْحُ:

و ما يقال في الاستعاذة يقال في الاستغاثة.

والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة تدل على افتقار العبد لربه.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢- ١٦٣]».

ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله».

الشَّرْحُ:

الذبح هو إزهاق الروح بإراقه الدم على وجه مخصوص.

والذبح أنواع:

- أن يكون مباح كأن يتمتع به الآكل أو للتجارة.
- ذبح مستحب كالأضحية.
- ذبح واجب كذبح هدي المتمتع.
- ذبح شرك كأن يذبح عند القبور لصاحب القبر أو يذبح للجن.

- ذبح بدعي كأن يذبح لله عند القبر

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان:٧]».

الشَّرْح:

النذر وهو إلزام المكلف نفسه شيئا غير واجب، وهو مكروه لقوله: وقال بعض أهل العلم أنه محرم، ويكون شركا: إذا نذر لأصحاب القبور.

حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ كَهْمَسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ح وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ وَهَذَا حَدِيثُهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ.

قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ الله مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ؟**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**». قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ قَالُوا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: لَمَّا تَكَلَّمَ مَعْبَدٌ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ فِي شَأْنِ الْقَدَرِ أَنْكَرْنَا ذَلِكَ، قَالَ: فَحَجَجْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَجَّةً، وَسَاقُوا الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ كَهْمَسٍ، وَإِسْنَادِهِ وَفِيهِ بَعْضُ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانُ أَحْرُفٍ، وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ

يَعْمَرَ وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَا: لَقِينَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَذَكَرْنَا الْقَدَرَ وَمَا يَقُولُونَ فِيهِ، فَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِهِمْ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ زِيَادَةٍ وَقَدْ نَقَصَ مِنْهُ شَيْئًا، وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة،...**».

الشَّرْحُ:

أي: الأصل الثاني من الأصول الثلاثة.

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

وإذا أطلق الإسلام، فإنه يراد به عام الدين الذي ارتضاه الله، وهو التوحيد.

والسين والتاء في الاستسلام هي للمبالغة. فلا بد للمسلم أن يستسلم لأمر الله.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والبراءة من الشرك وأهله**».

الشَّرْحُ:

أن يتخلص الإنسان من الشرك بالأقوال والأفعال.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان...».

الشَّرْحُ:

والبراءة من الشرك: أي من عمل الشرك والكفر.

والبراءة من الشرك أنواع:

١- براءة من ذات المشرك.

٢- براءة من عمله.

سؤال: كيف نبرأ من الكفار؟

الجواب:

أولًا: باللسان مع التصريح ببغضهم، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦]. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر الله تعالى عن صفيه وخليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن تبرؤه من أبيه وقومه وهم يعبدون الأوثان، وهذا يجب حسب القدرة والاستطاعة للإنسان.

ثانيًا: براءة الجوارح، وذلك بقتال الكفار؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة: ٧٣]. وهذا أيضا بحسب القدرة.

ثالثًا: براءة القلب. وهي بُغض الكفار وكرههم بالقلب.

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وهذه لا تسقط؛ لأن القلب ليس لأحد عليه سلطة إلا الله.

ويحرم مناكحتهم «أي الكفار»، ومساكنتهم، ومجالستهم إلا لحاجة وضرورة.

والسكنى عند الكفار لا تجوز.

والسفر إلى بلاد الكفار جائز؛ بثلاثة شروط وهي أن يكون للمسافر:

١- علم يدفع به الشبهات.

٢- دين يدفع به الشهوات.

٣- الحاجة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله...»**.

۞ **سؤال: لماذا جعل الشهادتين شهادة واحدة مع أن لفظهما مختلف؟**

الجواب:

قيل: لأن العبادة مبنية على تحقيق هاتين الشهادتين وهما الإخلاص والمتابعة، ولا تصح العبادة إلا بهما معا.

والكلام على «لا إله إلا الله» يكون على معناها، وأركانها، وشروطها.

معناها: أي لا معبود بحق إلا الله.

أركانها:

١- النفي.

٢- الإثبات.

شروطها: ثمانية؛ وهي:

١- العلم وضده الجهل، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

٢- اليقين المنافي للشك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

٣- القبول وضده الرد، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥].

٤- الانقياد وضده الترك، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢].

٥- الصدق وضده الكذب، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

٦- الإخلاص وضده الشرك، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢].

٧- المحبة وضدها البغض «الكره»، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وزاد بعضهم شرطا ثامنا:

٨- الكفر بما يضاده، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ

مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولقد جمعت في بيتين:

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه[1]

قوله: «**أشهد أن لا إله إلا الله**»، والشهادة لا تكون إلا بالعلم.

فضل الشهادة: أي فضل شهادة أن لا إله إلا الله:

أولا: هي المرحلة التي ينتقل بها الإنسان من الكفر إلى الإيمان.

ثانيا: من ختم له بها دخل الجنة.

ثالثا: أنها ثقيلة في الميزان، بل هي أثقل شيء في الميزان.

ومقتضى شهادة أن لا إله إلا الله هو:

فعل الأوامر وترك النواهي.

ومقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله:

طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر. أو بمعنى آخر: «أن لا يُعبد الله إلا بما شرع».

- **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وإقام الصلاة...**».

الشَّرْحُ:

الإقامة: هي فعلها بأركانها، وشروطها، وواجباتها.

(١) صاحب هذه الأبيات هو الشيخ: حافظ بن أحمد حكمي، ذكرها في (سلم الوصول).

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللهُ: «وإيتاء الزكاة...».

الشَّرْحُ:

إخراج الأموال مع صرفها لمستحقيها.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللهُ: «وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام...».

الشَّرْحُ:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال الشيخ محمد الأشقر: هنا تأكيد لحقه وتعظيم لحرمته، وهو على الاستطاعة وهي: الزاد ونفقة السفر.

الحج: هو قصد بيت الله الحرام لعمل مخصوص.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللهُ: «ودليل الشهادة، قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]».

الشَّرْحُ:

قال الشيخ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي: المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه، والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام.

فأشهد سُبْحَانَهُ نفسه، وملائكته، وأولو العلم.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده، (لا إله) نافيا جميع ما يعبد من دون الله، (إلا الله) مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه. وتفسيرها الذي يوضحها هو قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]».

الشَّرْحُ:

ومعنى الشهادة: لا معبود بحق إلا الله، وليس من الصواب أن يقال أن معنى «لا إله إلا الله» هو: لا معبود إلا الله؛ لأن كلمة «بحق» لا بد منها.

وهذا كله دعوة إلى التوحيد، فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا قومه إلى التوحيد، وكذلك نبينا ﷺ، بل إن كل الأنبياء دعوا أقوامهم إلى التوحيد.

إذن فالدعوة إلى التوحيد هي الأساس؛ لأن الذي يفسد عنده التوحيد يفسد سائر عمله.

❁❁❁

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]».

الشَّرْحُ:

قال الشيخ القاسمي: أي إلى قول معتدل لا يميل إلى التعطيل ولا إلى الشرك، لا يختلف فيها الرسل.

- فما هي هذه الكلمة؟

هي: «لا إله إلا الله».

۞ سؤال: هل أهل الكتاب مشركون؟

الجواب: نعم؛ النصارى مشركون بسبب التثليث، واليهود مشركون بسبب عزير، وبسبب تجرؤهم على الذات الإلهية؛ إذ قالوا - كما جاء في القرآن - قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١].

الشَّرح:

ومن المؤسف أن نشاهد بعض الناس يقلدون المشركين في أفعالهم.

يقول الشاعر:

ومن كان الغراب له دليلا ... يمر به على جيف الكلاب

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]».

الشَّرح:

هذه منة من الله أن بعث لنا أفضل رسول من أنفُسنا، وفي قراءة أخرى: ﴿مِّنْ أَنْفَسِكُمْ﴾.

فالنبي ﷺ نسبه أشرف الأنساب، حتى كان ﷺ معظمًا عند قومه في الجاهلية بسبب نسبه وأجداده. فعَمُّه وجده وجد جده...إلخ كانوا معظمين بين الناس، حتى عمه «أبو طالب» كانت له مكانته عند قريش.

قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

قال الشيخ محمد الأشقر: أي يا معشر العرب إن الله أرسل رسول إليكم له شأن عظيم، من جنسكم كونه عربيًا، فيعز على الرسول ما نعاديه فيه، وهو حريص علينا كما أنه على الأمة شفيق.

• **قال المصنف** رحمه الله: «ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد، قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]».

الشَّرح:

بدأ بالتوحيد؛ لأنه الأهم، ثم بدأ بالأعمال.

• **قال المصنف** رحمه الله: «ودليل الصيام، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]».

الشَّرح:

قال الشيخ السعدي رحمه الله: أي أن الله افترض الصوم؛ وهو: الإمساك

عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وهذه الآية فيها الأمر بالصيام، والتسلية لهم بأنه مكتوب على من قبلهم، وأن الصيام سبب للتقوى.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**المرتبة الثانية: الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة...**».

الشَّرْح:

الإيمان: لغة: الإقرار مع التصديق.

اصطلاحا: قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

أي لا بد من قول اللسان ولا ينفع بدونه، واعتقاد القلب، وعمل الأركان، وهذا هو مذهب أهل السنة.

ومذهب أهل السنة أن الإيمان يزيد، قال تعالى في زيادة الإيمان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢].

وأما ما يتعلق بنقص الإيمان، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[1].

وقالوا أيضا: إن الذي يزيد لا بد أن ينقص.

---

(١) (صحيح) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأعلاها قول: (لا إله إلا الله) وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[١]...».

الشَّرْحُ:

و هذا من شعب الإيمان؛ وقد ورد عن السلف أن بعضهم كان إذا أراد أن يزيل شيئا عن الطريق مما فيه أذى للناس كان يقول: «لا إله إلا الله» حتى يجمع بين الأدنى والأعلى.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحياء شعبة من الإيمان...».

الشَّرْحُ:

و هذا لفضل الحياء وأهميته. والحياء لا يأتي إلا بخير.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأركانه ستة: أن تؤمن بالله...».

الشَّرْحُ:

أركان الإيمان:

أولا: الإيمان بالله:

وهو يتضمن: الإيمان بوجوده، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

١- الإيمان بوجود الله:

---

(١) (متفق عليه) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**. ورواه أيضا أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

دل عليه الكتاب، والسنة، والفطرة، والعقل.

- أما الكتاب: فالآيات فيه كثيرة.
- وأما السنة: فمنها حديث الجارية وغيره.
- وأما الفطرة: فالإنسان مفطور على وجود الله عز وجل، حتى البهائم وهي تعاني، ترفع رأسها إلى السماء.
- وأما العقل: فإن الله موجود، ولو أتيت بأدنى إنسان وقلت له: إن هذا المكيف - الذي في الجدار - سيطفئ نفسه حينما ننتهي من التدفئة؛ هل سيصدق ما تقول؟ الجواب: لا.

وإذا قلت لآخر: إن هذا الجوال قد اخترع نفسه؛ هل سيصدق؟ الجواب: لا، أيضا.

فإذا كان هذا في آلة صغيرة غير مُصَدّق، فكيف بهذا الكون؟

وبمناسبة الحديث عن العقل:

يُحكى أن معلمًا قال لبعض طلابه: هل تؤمنون بهذه السبورة؟ قالوا: نعم. قال: ولم؟ قالوا: لأننا نراها. وكرر السؤال في حق الباب ورد الطلاب بنفس الإجابة. ثم قال المعلم: هل تؤمنون بالله؟ قالوا: نعم. قال المعلم: فكيف وأنتم لم تروه؟ فوقع في نفس الطلاب شيء وصار عندهم شيء من الحيرة والشك. ولكن الله ألْهَمَ طالبا ذكيا الرد على هذا المعلم الخبيث.

فقام الطالب قائلا: هل تؤمنون بهذه اللوحة؟ قالوا: نعم. قال: ولم؟ قالوا: لأننا نراها؟ ثم قال: هل تؤمنون بعقل هذا الأستاذ؟ قالوا: نعم. قال: كيف تؤمنون به وأنتم لم تروه؟ فسكت الطلاب، وقال الطالب: إذا لا عقل له، وعليه فلا نؤمن بكلامه، قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

- قيل لأعرابي: بم عرفت ربك؟ قال: «البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير».

- ولذلك لما صعد أول رائد فضاء روسي «يوري جاجارين» على سطح القمر قال: «عرفت أن هذا الكون له إله ومدبر».

ونحن نعلم أن هذا الروسي كان شيوعيًا، وقد ولت الشيوعية وأدبرت وما استغرقت أكثر من سبعين عاما؛ لأنها تخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها. إذًا فهذا دليل من الفطرة أيضا على وجود الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- الإيمان بربوبيته: وهو توحيد الله بأفعاله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

٣- الإيمان بألوهيته: وهو توحيد الله بأفعال العباد، مثل الدعاء، التوكل، الصلاة،...الخ.

٤- الإيمان بالأسماء والصفات: وهو أن تؤمن بأسماء الله وصفاته التي ثبتت بالكتاب والسنة الصحيحة.

ثمرات الإيمان بالله:

أولًا: طمأنينة القلب؛ ولذلك تجد الشيوعيين وغيرهم مضطربين؛ لأنهم لا يؤمنون بوجود إله، وعليه فكيف تستقر قلوبهم؟

والحال نفسه تجده مع الذين لم يؤمنوا بالله ولم يعبدوه، وإنما اتجهوا إلى عبادة الشيطان والهوى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هربوا من الرق الذي خُلقوا له ... وبُلوا بِرِقِّ الهوى والشيطان

ثانيًا: تعلق القلب بالله وكمال محبته.

ثالثًا: تحقيق العبادة لله عز وجل.

رابعًا: الالتجاء إلى الله في المُلمات.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي: «**يا حصين كم تعبد اليوم إلها**». قال أبي: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء! قال: «**فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك**». قال: الذي في السماء، قال: «**يا حصين! أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك**». قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال: «**قل: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي**»(١).

والله عز وجل لا يحتاج واسطة في دعائه، وهذا نقوله للذين يطوفون حول القبور، ويتخذونها شفعاء عند الله؛ فالله هو الذي يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

خامسًا: إبطال عبادة غير الله.

• **قال المصنف** رحمه الله: «... وملائكته...».

الشرح:

قد مر الحديث عن الإيمان بالله، والآن نتحدث عن الملائكة.

الملائكة: جمع ومفرده (مَلَك)، وهم عالم غيبي، خلقوا من نور، لا

---

(١) قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه».

تحقيق الألباني رحمه الله: (ضعيف)، المشكاة (٢٤٧٦/ التحقيق الثاني)، ضعيف الجامع الصغير (٤٠٩٨) القسم الأخير.

يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وعددهم لا يحصيه إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

قال النبي ﷺ: **«أطّت السماء وحق لها أن تئط ما بين أربعة أصابع إلا وملك ساجد أو راكع... ويدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك...»**[(١)]. فهذا يدل على كثرة عدد الملائكة.

- الإيمان بالملائكة يتضمن أمورا:

١- الإيمان بوجودهم: خلافا لمن أنكر وجودهم.

٢- الإيمان بما علِمنا من أسماءهم: مثل «جبريل»، و«ميكائيل»، و«منكر ونكير»، و«مَلَك الموت».

فَائِدَةٌ: يشتهر عند العامة أن ملك الموت اسمه «عزرائيل». وهذا خطأ؛ لأن هذا الاسم ورد في بعض الإسرائيليات وهو غير صحيح. والصواب أن يسمى: «ملك الموت»؛ كما قال الله في سورة السجدة: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٩٩): رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٠) عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق العجلي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١]، حتى ختمها ثم قال: فذكره، وزاد: «والله لوددت أني شجرة تعضد». وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وسكت عليه الذهبي. ومن هذا الوجه أخرجه الترمذي (٢/ ٥١) وابن ماجه (٤١٩٠) دون قراءة الآية. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال: لوددت أني شجرة تعضد». قلت: هكذا أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣) مصرحا بأن قوله: «والله لوددت..» من قول أبي ذر، وإسناده إلى إبراهيم صحيح، فهو دليل على أن من جعله من تمام الحديث كما هو رواية الحاكم والترمذي وابن ماجه فهو وهم أدرجه في الحديث. على أن الحديث إسناده فيه ضعف من قبل إبراهيم بن مهاجر، فقد قال عنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في التقريب: «صدوق لين الحفظ». والحديث أورده المنذري في «الترغيب» بلفظ الحاكم - فقال: رواه البخاري باختصار والترمذي إلا أنه قال: «ما فيها موضع أربع أصابع» والحاكم واللفظ له وقال: صحيح الإسناد. قلت: فعزوه إياه للبخاري مختصرا خطأ، فإن البخاري لم يخرجه عن أبي ذر مطلقا، وإنما رواه مختصرا جدا (٤/ ٢٣٧) من حديث أبي هريرة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بلفظ: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»**.

ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: ١١].

٣- الإيمان بما علمنا من أعمالهم: فـ «جبريل» للوحي، و«ميكائيل» للمطر، و«إسرافيل» للنفخ في الصور، و«مالك» خازن النار، و«منكر ونكير» للسؤال كما ورد في بعض الآثار، والملائكة الذين يتتبعون حلق الذكر، والملائكة الذين يتعاقبون فينا بالليل والنهار،...الخ.

٤- الإيمان بما علمنا من صفاتهم: كمثل أنهم خلقوا من نور، وأن لهم عقول، وليس لهم شهوة، وأنهم يتشكلون بالصور الطيبة، وأن لهم أجنحة. فجبريل على سبيل المثال له ستمائة جناح(١).

٥- رد مقالة السوء عنهم: كمثل ما قيل في حقهم أنهم بنات الله.

ثمرات الإيمان بالملائكة:

١- العلم بعظمة الله وقوته وسلطانه: فهذا «جبريل» قد سد الأفق بجناحه، وهو مخلوق من مخلوقات الله فكيف بالباقي. ومع هذا يقول الله في حق الملائكة: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٥٠].

٢- الكف عن المعاصي: وذلك أن الإنسان إذا علم أن الملائكة تكتب ما يعمل، حينئذ يكف عن المعاصي، ويعمل الصالحات.

٣- محبتهم لما يقومون به من عبادة الله.

٤- عناية الله بالبشر مما يوجب الشكر.

---

(١) (متفق عليه) عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [النجم: ٩]، وفي قوله: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ ﴾ [النجم: ١١]، وفي قوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ١٨]، قال فيها كلها: «رأى جبريل؛ له ستمائة جناح».

٥- عدم إعجاب المرء بنفسه؛ لأنه إذا علم عمل هؤلاء الملائكة، وعلم أيضًا أن الله ليس بحاجة إليهم ولا إلى غيرهم؛ دعا ذلك الإنسان إلى عدم العجب بعمله.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «...وكتبه...».

الشَّرْح:

وهي الكتب التي أنزلها الله على رسله.

والإيمان بالكتب يتضمن:

١- الإيمان بأن كلها منزل غير مخلوق.

٢- الإيمان بها إجمالا، ما عرفنا منها وما لم نعرف.

٣- الإيمان بها تفصيلا.

٤- الإيمان بمن أنزلت عليهم. فالتوراة أنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والإنجيل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والزبور على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، والقرآن على محمد ﷺ.

٥- الإيمان بأن أفضلها القرآن.

٦- الإيمان بأنها حرفت إلا القرآن.

٧- الإيمان بأن القرآن ناسخ لها؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨].

٧- الإيمان بأن القرآن محفوظ من التحريف، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

ملحوظة هامة: هناك خطأ عند البعض، وهو الاعتقاد بأن الكتب الأخرى غير القرآن كتب مخلوقة.

والصواب: أنها منزلة من عند الله عَزَّوَجَلَّ(١)، ولكنها حرفت على أيدي البشر.

ثمرات الإيمان بالكتب:

١- عناية الله بخلقه.

٢- العلم بحكمة الله في شرعه، حيث يشرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم.

٣- معرفة فضل القرآن ومنزلته.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ورسله...».

الشَّرْح:

الرسل هم الرجال الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم يدعونهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك.

الإيمان بالرسل يتضمن أمورًا:

١- الإيمان بهم إجمالا: من علمنا منهم ومن لم نعلم، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ

---

(١) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ .. ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦].

وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء:١٦٤].

٢- الإيمان بهم جميعًا: وأن من كذب بواحد منهم فقد كذب بهم جميعًا، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

فمع أنهم لم يكذبوا إلا نوحًا؛ إلا أن الله سماهم كذلك؛ لأنهم كذبوا برسول واحد فكان تكذيبًا للجميع.

وقال تعالى أيضًا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ... ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ... ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

٣- الإيمان بتفاوت بعضهم عن بعض: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ورفع .. ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٤- الإيمان بأن أفضلهم أولو العزم: ولقد ذكرهم الله إشارة في سورة الأحقاف: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ .. ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وذكرهم الله تفصيلا في سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ [الشورى: ١٣].

وفي سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧].

وأولو العزم هم: «محمد»، «نوح»، «إبراهيم»، «موسى»، «عيسى».

وسبب هذه التسمية: شدة ما لاقوه من الأذى من أقوامهم.

٥- الإيمان بأن أفضلهم محمد ﷺ.

٦- تصديق ما صح من أخبارهم.

٧- الاعتقاد بأن شريعة محمد ناسخة لجميع الأحكام.

فَائِدَةٌ: ما هي أكثر آية جمعت أسماء الرسل؟

الجواب: هي في سورة النساء، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... واليوم الآخر...».

الشَّرْحُ:

سمى باليوم الآخر لتأخره؛ وأنه ليس هناك يوما بعده.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أمورًا:

١- الإيمان بالموت، وأنه حقيقة. والموت لم ينكره أحد، لماذا؟ لأنه مُشَاهد.

٢- الإيمان بالقبر وفتنته، فيسأل المرء عن ربه، ودينه، ونبيه.

٣- الإيمان بنعيم القبر وعذابه.

٤- الإيمان بالبعث، والنشور، والحشر، والصراط، والجنة، والنار، ورؤية العزيز الجبار، وأن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

أ- قسم يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

ب- قسم يدخلون النار دخولا مؤقتًا.

ج- قسم يدخلون النار أبدًا.

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

١- الرغبة في فعل الطاعة. إذا علم الإنسان أنه بفعل الطاعات يدخل الجنة فإنه يحرص عليها ويرغب في فعلها.

٢- الرهبة من المعصية.

٣- تسلية المؤمن عما يفوته من ملذات الدنيا وشهواتها وأن الله سيعوضه بذلك خيرا.

٤- اطمئنان القلب.

٥- الفرح بالطاعة والحزن عند المعصية.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وتؤمن بالقدر خيره وشره...».

الشَّرْحُ:

- القدر: يطلق على التقدير، وما قدره الله عَزَّوَجَلَّ من الآجال والأعمال.

وأما القضاء فجاء في القرآن على عدة معان:

١- الأمر: قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ .. ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

٢- الحكم: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ .. ﴿٧٢﴾﴾ [طه: ٧٢].

٣- الفراغ: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ... ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: ٢٩].

٤- الموت: قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ .. ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

والإيمان بالقدر يتعلق بتوحيد الربوبية، وله تعلق بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنه من صفات الكمال لله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القدر نظام التوحيد، ومن كذب بالقدر فقد ناقض تكذيبه نظام التوحيد».(١).

فَائِدَةٌ: القضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

بمعنى: أننا إذا قلنا القضاء دخل فيه القدر، وإذا قلنا القدر دخل فيه القضاء. أما إذا اجتمعا كان القدر: التقدير، والقضاء: الحكم النافذ.

مراتب القدر:

أولا: **العلم**: وهو أن تؤمن بأن الله علم كل شيء جملة وتفصيلا، فالله علم ما كان وما يكون كيف كان لو كان.

بل ذكرت آية في دقة علم الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) (ضعيف) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده». شرح العقيدة الطحاوية.

(ضعيف) «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها». السلسلة الضعيفة.

ثانيا: **الكتابة**: أي أن الله كتب مقادير الخلائق.

الكتابة ثلاثة أنواع، وهي:

١- **الكتابة الشاملة**: والتي أول ما خلق الله القلم؛ فقال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة[1].

٢- **الكتابة العمرية**: أي أن الإنسان يكتب أجله، ورزقه، وشقي أم سعيد بعد مائة وعشرين يومًا.

٣- **الكتابة الحولية**: وهي أن يكتب ما يجرى على الإنسان مدة الحول.

قال تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

ثالثا: **المشيئة**: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. فما من شيء إلا بمشيئته جل وعلا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠].

رابعا: **الخلق**: فما من شيء في السماوات والأرض إلا والله خالقه.

وقد جُمعت هذه المراتب في بيت من الشعر:

قال الشاعر:

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه هو إيجاد وتكوين

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

١- أن ذلك من تمام توحيد الربوبية.

٢- يوجب صدق الاعتماد على الله؛ لأنك إذا علمت أن الله يقضي

---

(١) حديث: «**إن أول ما خلق الله القلم؛ فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، من مات على غير هذا فليس مني**». تخريج السيوطي(د) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. تحقيق الألباني رحمه الله: (صحيح) انظر: حديث رقم: (٢٠١٨) في صحيح الجامع.

لك، صدق القلب وثبت لله عَزَّوَجَلَّ.

٣- يوجب طمأنينة القلب؛ لأنك تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطاك لم يكن ليصيبك.

٤- منع إعجاب المرء بعمله، فتعلم أنك ما فعلت هذا الفعل إلا بفضل الله عَزَّوَجَلَّ.

٥- عدم الحزن على ما فات.

الاحتجاج بالقدر ينقسم إلى قسمين:

أ- احتجاج بالمصيبة: وهذا جائز؛ فإذا حدث لك شيء، فقال لك قائل: «لماذا حدثت لك هذه المصيبة؟». فقلت: قدّر الله وما شاء فعل، فهذا جائز.

ب- احتجاج بالمعصية: والمعنى أن الإنسان يفعل المعصية ويحتج بالقدر، وهذا لا يجوز لأمور:

١- أن هذه الحجة لم يقرها الله للمشركين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فما أقرهم على ذلك.

٢- نرد عليهم ونقول: وما أدراك أن الله كتب عليهم هذه المعصية.

٣- أن الله بيّن طريق الحق والضلال، وترك لك الخيار.

٤- أن الله علم بعلمه الأزلي ما ستفعله فكتبه عليك. فمثلًا: علم أنك في اليوم الفلاني ستزني، فكتب عليك ذلك.

٥- أن المحتج بالقضاء والقدر لا يرضى في الدنيا بهذا الاحتجاج إذا كان سيأتي بما لا يرضيه هو.

مثال: لو ضربته على رأسه، لاحتج قائلا: ولِـمَ؟ فتقول: بقضاء الله وقدره! أيرضى بهذا؟ الجواب معلوم بالطبع.

- ولهذا لما جيء برجل قد سرق إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال بعض الصحابة: تقطع يده.

فرد الرجل قائلا: يا أمير المؤمنين سرقت بقدر الله.

فقال عمر رضي الله عنه: «**ونحن نقطعها بقدر الله**».

- ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يدخل الشام وجد فيها الطاعون فلم يدخل، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تفر من قدر الله؟...

فقال: «**نفر من قدر الله إلى قدر الله**»(١).

فَائِدَةٌ: لذلك كانت أول بدعة اعتقادية ظهرت هي بدعة إنكار القدر.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وهذا لفظ البخاري: «عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ؛ فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله؟ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله؟ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه - وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ- فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا؛ فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**». قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ».

يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو أنفق أحدهم مثل أحد ولم يؤمن بالقدر لم ينفعه.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدليل على هذه الأركان الستة قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

الشَّرْحُ:

وهي ستة أركان، ذكر خمسة منها في آيات كثيرة، ومنها الآية السابقة.

وأيضا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وأما القدر فذكر في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]».

الشَّرْحُ:

إذًا لا يصير شيء إلا بقدر الله عَزَّ وَجَلَّ.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «المرتبة الثالثة: الإحسان. وهو ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

الشَّرْحُ:

المرتبة الثالثة: أي من مراتب الدين؛ هي: الإحسان.

- الإحسان يكون: بالبدن، وبالمال، وباللسان. وأعظم تعريف للإحسان: هو تعريف النبي ﷺ.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدليل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨]».

الشَّرْحُ:

أثبت لهم المعية الخاصة؛لأن المعية نوعان.

أنواع المعية:

١- معية خاصة: والمقصود بها النصر والتأييد.

٢- معية عامة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]».

الشَّرْحُ:

هذا يعني: أن الله يطلع على حركات الإنسان وسكناته.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١]».

الشَّرْحُ :

قوله: ومايعزبُ يعني: وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، السر عنده علانية، فلا يخفى عليه شيء، وهو يعلم السر وأخفى.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والدليل من السنة: «حديث جبريل» المشهور عن عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

الشَّرْحُ :

نعم، وإذا قيل: «حديث جبريل» قُصِدَ به الحديث المشهور[(١)].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله** ﷺ **ذَاتَ يَوْمٍ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ...**».

الشَّرْحُ :

قوله: «**لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد**».

هذا من الغرائب خاصة في الزمن السابق، حيث كان الواحد إذا سافر عُرف ذلك في وجهه وهيئته. وحتى الآن لو دخل عليك رجل مسافر لرأيت أثر التعب وأثر السفر على وجهه.

أي: أن هذا (أي القادم) لم يعرفه منا أحد.

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وهو مروي عن غير واحد من الصحابة في الصحاح وغيرها.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ...».

الشَّرْحُ:

هذا فيه الأدب لمن سأل.

فمن سأل ينبغي له أن يتأدب مع العالم، وانظر إلى أدب جبريل؛ مع ﷺ، فإنه يعلمنا كيف يكون أدب السؤال.

وفي هذا أيضًا: دلالة على أن أفضل جلسة لطالب العلم هي: جلسة التشهد.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله...».

الشَّرْحُ:

بدأ بأهم أركان الإسلام.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...».

الشَّرْحُ:

فوائد من حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

١- التأدب مع العالم، فالإنسان يجب أن يكون متأدبا مع من يسأل.

٢- أن أفضل طريقة للتعليم هي: التمثيل في المسائل والتقريب.

٣- أهمية التوحيد حيث بدأ به.

٤- وجوب إقامة الصلاة، وإعطاء الزكاة لمستحقيها، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

٥- تعجب الصحابة، فالرجل يسأل والنبي ﷺ يجيب، فيقول الرجل: «صدقت». فدل هذا على أن جبريل عليه السلام؛ عنده علم بهذه الأشياء، وإنما أراد أن يعلم الصحابة.

٦- فيه دليل على أنه يجوز للإنسان أن يسأل سؤالًا يعرفه، ليستفيد غيره، وهذا أفضل من أن يقول ذلك مباشرة.

٧- بيان أركان الإيمان، وأن أعظمها الإيمان بالله، ثم على الترتيب في الحديث.

٨- بلاغة النبي ﷺ، وهذه أخذناها من تعريفه ﷺ للإحسان.

٩- وجوب مراقبة العبد لله سبحانه.

١٠- أن الساعة علم اختص به الله - تبارك وتعالى -، والمراد بها القيامة.

١١- حسن جوابه ﷺ، وأخذناه من قوله ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

١٢- أن للساعة أمارات، أو علامات وأشراط:

وأشراط الساعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ وهي:

١- كبرى.

٢- صغرى.

٣- وسطى.

وقسمها بعضهم إلى:

١- صغرى.

٢- كبرى صغرى.

٣- كبرى.

٤- صغرى كبرى.

١٣- وفيه: أن من علامات الساعة التطاول في البنيان.

١٤- وفيه: أن السؤال هو الدين. فإذا أوتيت حسن السؤال فقد أوتيت الدين، فمن أجل ذلك تجد أن بعض الناس يسأل شيخًا فيفتيه بالحل، ويسأل آخر فيفتيه بالحرمة، والسبب أن طريقة وصيغة السؤال تختلف في المرة الأولى عن المرة الثانية.

١٥- وفيه: أن أشراط الساعة ليست كلها مذمومة، فمنها ما هو مطلوب وواجب؛ كطلب العلم ونشره. ومنها ما هو مباح، ومنها ما هو محرم.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «...**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا**...».

الشَّرح:

قال أهل العلم: لها معنيان:

أ- إما دليل عن كثرة العقوق.

ب- أو دليل على كثرة الفتوحات، وهذا أقرب؛ فالمعنى أن تكون الأمة عند خليفة، فيتسرى بها، فتلد له بنتا تصير ملكة أو سيدة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «...**الأصل الثالث**...».

الشَّرح:

الأصل الثالث: وهو يتضمن التعريف بالرسول ﷺ، وهجرته...الخ.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**معرفة نبيكم محمد ﷺ...**».

الشَّرْحُ:

فالنبي محمد ﷺ نعرفه أولًا بكونه عبدًا نبيًا رسولًا.

والله عَزَّ وَجَلَّ وصف نبيه محمدًا ﷺ بالنسبة لشخصه بثلاث صفات: (الرسالة - النبوة - العبودية).

وسماه الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن أيضًا: (أحمد).

سؤال: إن قيل لماذا سماه الله في القرآن «أحمد»[1]؟

الجواب: قال أهل العلم:

سماه الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن بهذا الاسم؛ لأن عيسى؛ قال هذا لقومه؛ ليبلغهم أنه ﷺ بلغ من الفضائل الشيء العظيم، ولأن «أحمد» أبلغ من «محمد» وقد كانت حياته ﷺ كلها جهاد ودعوة إلى الله

- من أسمائه ﷺ: «**محمد**» - «**أحمد**» - «**الماحي**» - «**العاقب**» - «**الحاشر**».

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم...**».

الشَّرْحُ:

هو محمد بن عبد الله، وأبوه عبد الله تُوفي والنبي ما زال حملا في بطن أمه.

---

(١) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ.. ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

وأما «**عبد المطلب**» فقد كان اسمه في الأصل «**شيبة**»، وقد تزوج أبوه، فجلس «**عبد المطلب**» عند أخواله، فلما مات أبوه أخذه عمه «**المطلب**» فلما رآه الناس قالوا: «**عبد المطلب**»! كأنه عبد له.

وقد كان رجلًا مهابًا تعظمه قريش، وكان له مكانة عندها.

۞ سؤال: *هل يجوز لنا أن نسمي «عبد المطلب»؟*

الجواب: لا يجوز أن نقول ذلك؛ لأن فيه تعبيد لغير الله.

وأما قول النبي ﷺ: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[1]، فهذا من باب الخبر، ولهذا يجوز لك أن تنادى رجلا عبّد نفسه لغير الله من باب الخبر.

وأما «**هاشم**» هذا، فقد كان يخدم الحجاج، وسبب تسميته بـ: «**هاشم**» أنه كان يهشم الثريد للحجاج.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللهُ: «**وهاشم من قريش...**».

الشَّرْحُ:

وقريش كان أصلهم خارج الحرم، فجاء قصي بن كلاب فأدخلهم إلى الحرم.

---

(١) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري: «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ».

- سميت قريش بهذا الاسم:

١- قيل: إما لتقرشهم أي تجمعهم

٢- قيل: لحبهم المال (يعني القروش).

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -...**».

الشَّرْحُ:

ومعلوم أن العرب تنقسم إلى قسمين:

١- العرب العاربة.

٢- العرب المستعربة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وله من العمر ثلاث وستون سنة...**».

الشَّرْحُ:

يعني: تُوفي صلى ﷺ وعنده ثلاث وستون سنة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**منها أربعون قبل النبوة، وثلاثة وعشرون نبيًا رسولًا...**».

الشَّرْحُ:

أربعون قبل النبوة، وهذه الأربعين قبل النبوة أيضا كانت صفحة مضيئة في حياته ﷺ، فكان يسمى بالصادق الأمين، بل إنه ﷺ ما ذهب في

الجاهلية إلى ما يذهب إليه الكفار، حتى إنه أراد أن يذهب يومًا إلى عرس؛ فأغمي عليه حتى طلعت الشمس.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «نبئ بـ (اقرأ)...».

الشَّرْحُ:

نبئ بـ (اقرأ)، وهي أول ما تنزل من القرآن. قال جل وعلا: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأرسل بـ (المدثر)...».

الشَّرْحُ:

أرسل بالمدثر لما نزل عليه الوحي ﷺ، فخرج يقول: «**دثروني، دثروني**...الحديث». فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١] وهذا دليل على أن النبوة تفترق عن الرسالة، وأن النبي يفترق عن الرسول، فقد يكون الشخص نبيًا ولا يكون رسولا.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبلده مكة...».

الشَّرْحُ:

سميت مكة بهذا الاسم: قيل: لأنها كانت تبك الجبابرة أو تذلهم. وقيل: لقلة مائها.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد...».

الشَّرْحُ:

بعثه الله عَزَّوَجَلَّ للتحذير من الشرك؛ ولهذا كانت حياته ﷺ كلها دعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، حتى في اللحظات الأخيرة من حياته ﷺ نقل عنه أنه قال: «**أولئك شرار الخلق عند الله**»(١). يحذر مما صنع أهل الشرك.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١ - ٧].

ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ أي عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أي: عَظِّمْهُ بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أي: طهر أعمالك عن الشرك، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: والرجز: الأصنام، وهجرها: تركها، والبراءة منها وأهلها...».

الشَّرْحُ:

إذن فأعظم شيء دعا إليه النبي ﷺ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، والتحذير من الشرك.

---

(١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها: (مارية) - وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة- فذكرن من حسنها وتصاويرها. قالت: فقال النبي ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح [فمات] بَنَوْا على قبره مسجدًا، ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله [يوم القيامة]**».
أخرجه البخاري (١/ ٤١٦، ٤٢٢) ومسلم (٢/ ٦٦-٦٧) والنسائي (١/ ١١٥) وكذا أبو عوانة (٢/ ٤٠٠-٤٠١) والبيهقي (٤/ ٨٠) والسياق لهما، وأحمد (٦/ ٥١) وابن أبي شيبة (٤/ ١٤٠)، والزيادتان له للشيخين وغيرهما..

البراءة من الشرك تكون بثلاثة أشياء:

١- **باليد**: وهذا حسب القدرة، والمقصود به مجاهدة الكفار، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

٢- **باللسان**: وذلك بمجادلة الكفار، وهذا حسب القدرة أيضًا.

٣- **بالقلب**: وذلك يكون بالبغض، وهذا واجب لا يعذر فيه أحد؛ لأن القلب لا سلطان لأحد عليه إلا الله عز وجل.

• **قال المصنف** رحمه الله: «**وأخذ على هذا عشر سنين**».

الشرح:

أخذ النبي ﷺ عشر سنين، وهو يدعو فقط إلى التوحيد، يقول لهم: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(١).

• **قال المصنف** رحمه الله: «**وبعد العشر عرج به إلى السماء...**».

(١) روى الإمام أحمد والبيهقي عن ربيعة بن عباد من بني الديل - وكان جاهليا فأسلم - قال: «رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق (ذي المجاز) وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا: (لا إله إلا الله) تفلحوا**». والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه؟ فقالوا: هذا عمه أبو لهب». ثم رواه البيهقي من طريق أخرى عن ربيعة الديلي قال: «رأيت رسول الله ﷺ بـ(ذي المجاز) يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول، تقد وجنتاه وهو يقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قيل: هذا أبو لهب».

الشَّرْحُ :

أي بعد عشر سنين من البعثة عرج به ﷺ إلى السماء.

ونذكر الآن بعض المسائل في الإسراء:

أولا: أُسري به ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، فلماذا بيت المقدس؟

قالوا: ليربط بين الأنبياء ودعوتهم.

فَائِدَةٌ: سمي المسجد الأقصى بهذا الاسم؛ لبعده.

- ثم صلى بهم ﷺ، ثم عُرِجَ به إلى السماء[1]، فوجد «آدم»؛ - وقد التمس بعض العلماء الحكمة من لقياه للأنبياء:

فقالوا: وجد «آدم» في السماء الأولى؛ إشارة إلى إخراجه من مكة.

وفي السماء الثانية: وجد «يحيى وعيسى»؛ - عليهما السلام- إشارة إلى عداوة قومه له؛ كما أن «يحيى وعيسى»؛ قد عاداهما قومهما.

وفي السماء الثالثة: وجد «يوسف»؛ إشارة إلى أنه سيلتئم شمله مع قريش، وسيعود إلى بلده؛ كما عاد «يوسف»؛ إلى إخوته.

وفي السماء الرابعة: وجد «إدريس»؛ إشارة إلى رفعة مكانته ﷺ.

وفي السماء الخامسة: وجد «هارون»؛ إشارة إلى أن قريشًا ستحبه كما أحبت بنو إسرائيل هارون.

وفي السماء السادسة: وجد «موسى»؛ إشارة إلى أنه سيجد من قومه مثل ما وجد «موسى»؛ من قومه.

وفي السماء السابعة: وجد «إبراهيم»؛ إشارة إلى فتح مكة.

---

(١) انظر: لمزيد اطلاع كتاب الإسراء والمعراج للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ طبع المكتب الإسلامي.

ثانيا: أن النبي ﷺ أسرى بجسده حقيقة.

ثالثا: أن النبي ﷺ لم يرى ربه حقيقة؛ وهذا هو الصحيح. ولما سُئِلَ النبي ﷺ عن ربه؟ قال: «نور أنى أراه»[١].

• **قال المصنف:**: «وفرضت عليه الصلوات الخمس...».

الشَّرح:

وهذا دليل على أهمية الصلاة فقد فرضت بلا واسطة.

• **قال المصنف:**: «وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة، والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام...».

الشَّرح:

والهجرة: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام؛ كما عرفها شيخ الإسلام «محمد بن عبد الوهاب» ومعناها: التَّرْكُ.

أنواع الهجرة:

١- هجرة معنوية: وهي هجرة التَّرْك (يعني ترك الكفر - الشرك - المعاصي).

٢- هجرة حسية: وهي أنواع:

(١) (صحيح) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه». رواه مسلم، وصححه الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١/ ١٩١).

الأول: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي واجبة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء: ٩٧].

الثاني: الهجرة من بلد البدعة إلى بلد الإسلام، وهي أيضا واجبة. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

الثالث: الهجرة من بلد يضطهد فيه دينه إلى بلد يقام فيه شعائر دينه، وهذا حكمه بحسب المصلحة.

الرابعة: هجرة دنيوية من بلد الأوبئة والأمراض إلى بلد الصحة، وهذه جائزة؛ لقوله ﷺ: «**فر من المجذوم كما تفر من الأسد**»(١). ويستثنى من ذلك: الطاعون والأمراض المعدية؛ إذا أصابت الإنسان وهي واجبة على القادر.

---

(١) ونص الحديث هو: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**».
قال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٢٨): أخرجه البخاري معلقا (١٠/ ١٢٩) فقال: «وقال عفان: حدثنا سليم بن حيان: حدثنا سعيد بن ميناء قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول مرفوعا به. وقد وصله أبو نعيم من طريق أبي داود الطيالسي وسلم بن قتيبة كلاهما عن سليم بن حيان شيخ عفان فيه. فالسند صحيح، ووصله ابن خزيمة أيضا كما في «الفتح». وأخرج ابن خزيمة له شاهدًا من حديث عائشة رضي الله عنها؛ ولفظه: «**لا عدوى، وإذا رأيت المجذوم ففر منه كما تفر من الأسد**».
وقال الحافظ في شرح قوله: «وفر من المجذوم». من الحديث الذي قبله: «لم أقف عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إلا من هذا الوجه ومن وجه آخر عند أبي نعيم في «الطب» لكنه معلول. قلت: وقد رواه أحمد أيضا من وجه آخر معلول، ولعله الذي أشار إليه الحافظ، فانظر الحديث المتقدم (٧٨١)، وقد قال البغوي في «شرح السنة» (٣/ ٣٦٧ نسخة المكتب الإسلامي) بعد ما رواه عن البخاري: «هذا حديث صحيح».

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي باقية إلى أن تقوم الساعة...».

الشرح:

قوله: «باقية». وهذا فيه رد على من قال إنها منسوخة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩]».

الشرح:

فعاتبهم الله على تركهم الهجرة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ:...».

الشرح:

البغوي: صاحب التفسير المعروف[1]، «أحد تفاسير أهل السنة

(١) البغوي هو الإمام الحافظ، الفقيه المجتهد: محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرَّاء البغوي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ويلقب بركن الدين، أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز، والسنة النبوية، ولد ببلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها «بغ» و«بَغْشُوْر» بفتح الباء الموحدة، =

والجماعة» وهو تفسير نفيس.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين كانوا في مكة ولم يهاجروا فناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة قول النبي ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل: «**الصلاة**»، و«**الزكاة**»، و«**الصوم**»، و«**الحج**»، و«**الأذان**»، و«**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين».

الشَّرْح:

ظل على هذا عشر سنين ﷺ وهو يأمر بشرائع الإسلام حتى اكتمل الدين.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

= سنة (٤٣٣ هـ) أو سنة (٤٣٦ هـ). والإمام البغوي من أئمة السلف الصالح، الذين تقيدوا بالكتاب والسنة، في مفهوم الاعتقاد وبخاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته. توفي: بـ (مَرْو الرُّوذ) مدينة من حدائق خراسان في شوال سنة (٥١٦ هـ)، وعاش بضعًا وسبعين.

(١) (صحيح) عن معاوية وغيره مرفوعا: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**». رواه أبو داود، والدارمي، وأحمد، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وتوفي النبي ﷺ ودينه باق...»**.

الشَّرْحُ:

ودين الإسلام باق بعد موته ﷺ؛ لأن الناس لا يتعلقون بالأشخاص، وإنما يتعلقون بالمناهج.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه. والخير الذي دلها عليه التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه...»**.

الشَّرْحُ:

نعم، فأعظم خير دل الأمة عليه «التوحيد»؛ لأن به نجاة العبد من الخلود في النار.

وأعظم شيء حذر منه هو الشرك، لماذا؟

لأنه سبب للخلود في النار.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«والشر الذي حذر منه الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه... بعثه الله إلى الناس كافة»**.

الشَّرْحُ:

وهذا من خصائص دعوة النبي ﷺ، وهو عموم رسالته إلى الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، ومن أجل ذلك حضر إليه الجن واستمعوا لدعوته ﷺ، قال: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا

أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]، ...».

الشَّرْحُ :

فهذا خطاب من الله تعالى وهذا كله من العموميات.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وكَمَّلَ الله به الدين، والدليل قوله تعالى:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]».

الشَّرْحُ :

وهذه أخر آية نزلت في الأحكام، ونزلت على الرسول ﷺ في يوم عرفة «عيد أهل الموقف».

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والدليل على موته ﷺ: قوله تعالى:** ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١]...».

الشَّرْحُ :

نعى الله عَزَّوَجَلَّ الرسول ﷺ للناس، حتى لا يفاجأ الناس بموته ﷺ،

وليعلموا أن الموت حتم على كل أحد، ولو كان أحد باقيًا لبقي رسول الله ﷺ.

ولذلك لما توفي رسول الله ﷺ تأثر الناس بوفاته، حتى يقول أنس رضي الله عنه: «لما دخل النبي ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، ولما توفي أظلم منها كل شيء»(١).

• **قال المصنف** رحمه الله: «والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]».

الشرح:

وهذا دليل على البعث، فالإنسان يموت ثم يبعث.

والإنسان يعيش مراحل:

أولا: أنه لم يكن موجودًا أبدًا. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان: ١].

ثانيا: ثم وجد في بطن أمه.

ثالثا: ثم في الدنيا.

رابعا: ثم في القبر.

خامسا: ثم في الآخرة، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي؛ وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»، قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث غريب صحيح». تحقيق الألباني رحمه الله: صحيح ابن ماجه (١٦٣١).

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال تعالى: «﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧ - ١٨]، **وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم...**».

الشَّرْحُ:

يعني: البعث، ثم الحشر، ثم القيام لانتظار القضاء، ثم شفاعة النبي ﷺ، ثم مجيء الله للفصل بين الناس، ثم تطاير الصحف، ثم العرض اليسير للمؤمنين، والمناقشة العسيرة للكافرين، ثم الصراط، ثم الجنة أو النار.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والدليل قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١]».

الشَّرْحُ:

وهذا من تمام فضله ومنته سبحانه وتعالى؛ إذ يجازى المحسن بإحسانه، ومجازاة المحسن ليس من باب العدل، وإنما من باب الفضل منه سبحانه وتعالى؛ لأنه لو أراد أن يحاسبك لهلكت، كما قال ﷺ: «**من نوقش الحساب فقد هلك**»(١).

---

(١) (صحيح) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**من نوقش الحساب عذب**». فقلت: أليس يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩] فقال: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، وقد روي بلفظ: «**من نوقش الحساب فقد هلك**». عن ابن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**من نوقش الحساب هلك**». رواه البزار والطبراني في الكبير بإسناد صحيح.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن: ٧]. وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥]».

الشَّرْحُ:

قوله تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾، والحكمة من ذلك: إقامة الحجة على الناس، وبيان الطريق الموصل إلى الله سبحانه وتعالى.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وآخرهم محمدٌ ﷺ وهو خاتم النبيين؛ والدليل على أن أولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣]».

الشَّرْحُ:

نعم، أولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سؤال: *هل كان قبل نوح نبي؟*

الجواب: نعم، آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكنه لم يرسل. وأما اعتقاد البعض أنه أول الرسل فليس بحق، فنوح أول الرسل، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ

وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣].

قوله: «**وآخرهم محمد ﷺ، وهو خاتم النبيين**».

نعم، هو خاتم النبيين، وبه ختمت الرسالات، وبموته انقطع الوحي ﷺ.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وكل أمة بعث الله إليها رسولا، من نوح إلى محمد، يأمرهم بعبادة الله وحده**».

الشَّرح:

نعم، كل أمة لم تخل من رسول؛ بل إن بعض الأمم كان فيها رسولَيْن، وبعض الأمم كان فيها ثلاثة رسل، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يس: ١٣ - ١٤].

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

الشَّرح:

أي أرسلنا في كل أمة رسولا؛ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، أي كونوا في جانب والطاغوت في جانب آخر.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله...**».

الشَّرْحُ:

إذن أول شيء: الكفر بالطاغوت.

الكفر بالطاغوت أنواع:

أولا: **الكفر بالقلب**: وهو أن تبغض الطاغوت بقلبك؛ وهذا لا يعذر به أحد.

ثانيا: **الكفر باللسان**: وذلك بالتصريح ببغضه «**الطاغوت**»، وأنه باطل، وهذا حسب القدرة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦].

ثالثا: **الكفر باليد**: مثل ما فعل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ عندما كسر أصنام قومه، والنبي ﷺ عندما كسر الأصنام بعد فتح مكة، وهذا حسب القدرة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **معنى الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع...**».

الشَّرْحُ:

«من معبود» ويقصد به: ما عبد من دون الله، أو «متبوع» مثل العالِم، أو «مطاع» وهو الأمير.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة:...**».

الشَّرْحُ:

يعني: رؤوسهم خمسة.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إبليس لعنه الله...**».

الشَّرْحُ:

أولهم إبليس - لعنه الله -، وكان في البداية عبدًا صالحًا ثم فسق عن أمر ربه.

وهو ليس من الملائكة؛ وذلك لأن:

الملائكة خلقوا من نور، وأما إبليس فخُلِقَ من مارج من نار.

الملائكة لا يعصون الله، وإبليس عصى الله.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحجر: ٣٠ - ٣١]. فهذا يسمى: استثناء منقطع.

- سُمِّيَ إبليس إبليسا: لأنه من «بلس» أي: بعد عن الحق.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومن عُبد وهو راض...**».

الشَّرْحُ:

أي راضٍ بالعبادة لنفسه؛ لأن المعبودات من دون الله تنقسم إلى قسمين:

١- من عُبد وهو راض: مثل «فرعون، والنمرود، وغيرهما».

٢- من عُبد وهو غير راض: مثل «عيسى، والملائكة، وبعض الصالحين، وغيرهم».

إذًا يشترط لكونه طاغوتًا: أن يُعبد وهو راض، أما إذا عبد وهو غير راض فلا شيء عليه.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه...».

الشَّرْحُ:

يعني من دعا الناس ليعبدوه من دون الله.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ادَّعى شيئًا من علم الغيب...».

الشَّرْحُ:

مثل «الكاهن»، و«الساحر»، ولو ادعى ذلك للحظة واحدة.

ولهذا قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

١- ومفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله؛ وهي: الخمس المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

«**فالمنجم**»، و«**الساحر**»، و«**الكاهن**»، وكل ما كان من هذا القبيل كـ«**برج الحظ**»، و«**أنت وحظك**» فهذا كله من أنواع السحر.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن حكم بغير ما أنزل الله...».

الشَّرْحُ:

أيضًا الحكم بغير ما أنزل الله، والحكم بغير ما أنزل الله من توحيد الربوبية، ويكون بأمور:

١- بالتحاكم إلى غير شرع الله في كل الأمور؛ كليات كانت أو جزئيات.

٢- أن ينشرح الصدر للحكم بغير ما أنزل الله.

٣- أن يتضايق الصدر ويتحرج بالحكم بما أنزل الله.

٤- عدم التسليم والقبول بحكم ما أنزل الله.

والصحيح: أن من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، سواء رأى أن حكم الله هو أحسن، أو رأى أن غير حكم الله هو أحسن، وإن كان الذي يرى أن حكم غير الله أحسن، هو أشد حالًا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة: ٤٧].

ومن **الحكم بغير ما أنزل الله**: تحاكم أو تحكيم رؤساء القبائل بما يسمى: «**بالأعراف والسلوم...الخ**». وهو أن يأتي شخص فيحكم بين شخصين، ثم يأتي رئيس القبيلة، ويضعون العشاء، ويقول: «**أنت عليك كذا**» و«**أنت عليك كذا**». ولابد أن يرضى كل منهما، وإذا لم يرضَ قطعوها جورًا، فهذا لا يجوز.

وهو غير الصلح المعروف الجائز؛ وهو أنه إذا حضر فقال: «والله ما حضرت إلا من أجل الصلح بينكما. فأنت عليك كذا، وأنت عليك كذا «فضلًا لا أمرًا». فهذا ليس فيه شيء.

ومما يندى له الجبين أنهم ربما يأتون برجل لا يستطيع أن يقرأ الفاتحة ويحكموه! وهذا كفر.

أما إذا أصلح من غير إلزام مع العدل؛ فلا بأس.

• **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والدليل قوله تعالى**: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهذا هو معنى «لا اله إلا الله»، وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»[١].

---

(١) (صحيح لغيره) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير؛ فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال: «**لقد سألت عن عظيم! وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**». ثم قال: «**ألا أدلك على أبواب الخير؟**». قلت: بلى، =

الشَّرْحُ :

«**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة**». فالصلاة هي عمود الدين، ومن سقط عموده سقط بيته.

«**وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»؛ لبيانه ووضوحه. والله أعلم.

وبهذا نكون قد أنهينا رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في «الأصول الثلاثة»، وهي رسالة نافعة عظيمة، وجدنا فيها العلم، والأدلة، وصدق العبارة.

فنسأل الله جل وعلا أن يجزي الشيخ عنا خير الجزاء، وأسأله أن يعفو عنا وعنه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

= يا رسول الله، قال: «**الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة؛ كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين**»، ثم تلا قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ثم قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟**». قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد**». ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**». قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**كف عليك هذا**». وأشار إلى لسانه، قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك! وهل يكب الناس في النار على وجوههم -أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم**». رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم من رواية أبي وائل عن معاذ رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح ورواه الطبراني مختصرًا.

الفهرس

الموضوع	الصفحة